مصنّفات غياث الدين منصور حسينى دشتكى شيرازى

(۴)

مرآة الحقائق و مجلى الدقائق

به اهتمام

عبدالله نورانى

بسم الله الرحمن الرحيم

<مقدمة>

يا غياثَ المستغيثين ، نَوِّرْنا بِأنوارك و كمّلنا بمعرفةِ أسرارك و اجعَل لنا جَناحاً نطيرُ به إلىٰ جِوارك و نَجاحاً نَصِلُ بهِ إلىٰ عزيز دارك . قصّر أنظارَنا إلىٰ مُعاينة نور جَمالك دونَ مشاهدة آلائك ، و أرسِل علىٰ نُفُوسِنا شارقَ نُورك و ضِيائك ، نَوّر ضمائرنا بأنوار الهداية و أجلِ مَرايا بَصائرنا بالأشعّةِ اللّامعةِ من مَشارق العِناية .

صَلِّ و سَلّم علىٰ صاحبِ الوحي و الرّسالةَ، المُستحقّ مِن طِينة الفصاحة و البسالة، نبيّك الّذي ألزمتَ ربقةَ دينهِ الرّقاب، و قرنتَ بطاعتِه و معصيتِه الثّوابَ و العقابَ. لو اقتُبِسَ نُورُ الشّمس من رأيهِ لما هجم عليه الظّلامُ ، و ظهرَ على الأنام وقائعُ ما لم يوجد بعدُ مِن الأيّام . ألحِق بِه في الصّلاة عليه آلَهُ و أصحابه الّذينَ جَعلوا العالمَ الظّلمانيّ بنور الكشفِ الرّوحانيّ كالنّار ضِياءً و الماء صفاءً .

و بعدُ ، فيقول أقلُّ الخليقةِ ، بل اللّا شيءٌ في الحقيقة ، غياثٌ المشهورُ بمنصور بن محمّد الحسينيّ ، أحسن اللهُ أحوالَهُ و حَصّل آمالَهُ : هذا ما يَحضُرُنا الآنَ بِالبرهانِ مِن المطالبِ البهيّة الكشفيّة و المقاصدِ العليّة الإلٰهيّة . حَرّرتُها بِحُكم اقتراحِكم ، أيُّها الإخوانُ ـ أوصلكمُ اللهُ ، تعالى ، معارجَ الكشفِ و العيانِ ، و نَجّاكُم عَن النّزول في مَهاوى الظّنون و الحِسبان ـ و وَسَمتُها بِمِرآة الحقائق و مَجلى الدّقائق.

و خدمتُ بها مَن استمرّ من عَزمِها السّماء و استقرّ مِن حزمِها الغبراء ، شَهِدَ مَعاركَ الخُصُوم بأصحاب كالنّجوم فأراهُم الكواكبَ نهاراً و أغشى البِيضَ

الرّقاقَ مطاردَ ضوئها الآفاق، حاملينَ من القِسيّ و النّلب أهلّةً و أقماراً قسية غِلاظٍ شِداد، قاسية القلوب، حافية الطّباع، فوكّل بِقبضِ الأرواح رُسُلاً أُولى أجنحةٍ مَثنىٰ و ثُلاثَ وَ رُباع، المرّيخُ مِن جَمَراتِ بأسهِ شُعلةٌ تتّقدُ، و مِن سطواتِ كوكبتهِ الأرضُ تَرجُفُ و السّماء ترتعدُ، صَوارِمهُ شهبٌ ترجُمٌ الشّياطينَ يومَ اللّقاء و سِهامُهُ ذواتُ تُندرَ تُخيفُ العِدىٰ عَندَ طلوعها مِن بُرج القوس يومَ الوغا.

يُشرِقُ نَصلُه في ظلماتِ قلوب الكفار إشراقَ حمرة النّار في سواد الرّماد، و يُنبِئُهُم اشتعالُ جمراتِ بأسه بما لهم من العذابِ في المعاد يوم التّناد، سيفهُ ماءٌ و للكفّار شياطينُ من النّار، كفّهُ سَحابٌ يُنشأ عنه الصّاعقةُ على العُدوان و أمطارُ الامتنان علىٰ أرباب الإحسان، لشدّة مهابتهِ ينحلّ زمامُ قطار كتائب الأيّام، و لنيل عنايته عسىٰ أن يعود ما مضىٰ من الدّهور و الأعوام، السّلطان ابن السّلطان، غياث السّلطنة و الدّنيا و الدّين، أبو المظفر بهادر خان.

اللّهُمّ اجعلهُ بنيل مآربهِ مسروراً و أُمراءهُ و أعوانهُ مَنصوراً في فتح الأرجاء و نصب اللّواء، و اجعلهُم فائزين بمقارنة النّصر و الظّفر عند مقابلة الأعداء، هم الّذين يرونَ لدفع عداة الدّين دمَ الغليل شفاء العليل لا الماء القراح، و يتعاطونَ لتنشيط النّفوس أقحافَ الرّؤوس لا الأقداحَ.

ثمّ إنّي أوردتُ في هذا الكتابِ كثيراً من فوائد القوم، و في خلالها زوائد توحّدتُ باستخراجها و تفرّدتُ باستنباطها، فأيّها الطالبُ عظائم المطالب، دع أضغاثَ الاحلام، فإنّ روحَ الصّباح قد دبّت في جسم الظّلام و بثّت البرء في أثناء السّقام و ألقى الضّوء مراسيه في البحر الأخضر من الغياهب، و حديقة الخضراء أثمرت أزهارها ونجومها الثواقب، وأضاءت الشّهبُ أوضاح النّهار كالماء تنسابُ خلال الأزهار، رقّ حواشي السّحر و هبّ النّسيم على الزّهر و أشرقت الأرضُ بنور ربّها و تبسمّت رويحات الفجر عن مهبّها لبثّ داعية الطرب و انقشعت عنها ضباباتُ الكرب فانتهز من الرّياض نزهةً تتخلّصُ بالتّفرّج عن مكابدة الهموم برهةً، و ها أنا أجلوها عليك في مجالس أسرار بلعمات أنوار، يتحامىٰ إشراقُه تحامىَ الشّمس ناظر الخُفّاش و ينقدحُ من لمعاته نارٌ يتهافتُ فيه العدوُّ كالفراش.

المجلى الأوّل

<تجلّى نور الحق فخلق الموجودات>

<۱> نور شرقيّ

إذا تجلّىٰ نورٌ فالخبيرُ البصيرُ يرىٰ بالنظر والنّظرُ نثر أنواراً ظهر في كلّ ما ظهر، هو نورٌ لذاته و لغيره من مُنوّراتِه، فبدء أنّه يراهُ. وهو الّذي يراهُ في كلّ ماسوى الله، نور السّماوات والأرض، فالبادي في بادي نظره يراهُ من وراء حجاب كأنّه نورُ مصباح يُرىٰ بزجاجة في مشكوٰة، و بزيادة النّظر و تُبصّر في المرآىٰ ينكشف الغطاء أي الزّجاجة منوّراً كأنّها كوكبٌ دريّ ينوّر بنور شجرة مباركة ذات فيض و بركة إلٰهيّة كأنّها ينوّرُ و يتنوّرُ بنفسها، إلّا أنّ هذه إشراقُ نور مُنوّرها، نوّرها بأنواره و جعلها بتضاعفِ الأنوار مَظهراً و مُظهِراً للأسرار، و لا نورَ إلّا النّورُ الأوّل، و هو الظّاهرُ في كلّ مظهر. فهذا ما يُرىٰ أوّلاً في مرآة الحقائق، و يُرىٰ آخراً ببدائع من الدّقايق.

<۲> ظلّ غربيّ

الجسمانيّاتُ لا تكون علّةً إلّا لما يكونُ لمادّتهِ نسبةٌ وضعيّةٌ إليها، و الحكمُ بذلك بديهيٌّ، مشهورٌ عند الجمهور، معدودٌ من التّجربيّات، مأخوذٌ في براهين اليقنيّات، و إليهِ أُشير بقولهم: الجسمُ و الجسمانيُّ لا يؤثّر إلّا بمشاركة الوضع.

<۳> تبصرةٌ

لتلك النّسبة الوضعيّة في كلّ جسمانيّ بماله من الخصوصيّة خصوصيّةٌ و للتّعبير تفصيلٌ فيه تطويلٌ. و مَن عرف نفسَه شاعراً بكيفيّة التّأثير و التّأثر لم يتأثّر من الكلمات الّتي فيها مشتبهات لاشتباهات و التباسات و أمّا المشهورُ لدي الجمهور من الدّليل فهو العليل، والله يُحقّ الحقّ بكلماتهِ و يهدي السّبيلَ.

<۴> نور قمريّ

الواحدُ البسيطُ من جهة واحدة لايكون علةً إلّا لواحد بسيط، وإلّا لاختلف المقتضىٰ فاختلف الاِقتضاء، فيَكثر المقتضى، وذلك خلافُ ما فرضنا، و بمثل ذلك لا يكونُ فاعلاً و قابلاً، و بالجملة لا يكونُ مظهراً للوازمَ مختلفة لاِستلزام جهات متكثّرة.

<۵> ظلّ غربيّ

الأُمورُ المتلازمةُ يجبُ أن يكونَ بعضُها علةً مُوجِبةً لبعض آخر أو يكونَ معلولةً لِعلل مُوجِبَةٍ مُتلازمة أو لعلّةٍ واحدة؛ فإنا نعلمُ بديهةً أنّ الأمورَ الّتي لا يكونُ بينَها علاقةُ العليّة و المعلوليّة بوسط أو بغير وسط يجوزُ وجودُ بعضِها بدونِ بعض.

<۶> نور شرقيّ

العلّةُ الكافيةُ في حصول أحدِ المعلولات يجبُ أن تكون علّةً مُوجِبَةً لواحِدة معيّنة منها دونَ غيرها، و إلّا يلزمُ ما يلزمُ علىٰ ما سيأتي فيما سيأتي. و بذلك يظهرُ أنّ لزومَ أحدِ الأمور بشيء يستلزمهُ لزومُ معيّن منها له، غايتُه أن يكونَ اللّازمُ في كلّ وقت أو بكلّ شرط شيئاً مُعيّناً آخَر.

<۷> اشراق شمسيّ

يمتنعُ التّلازمُ بينَ الموجوداتِ الواجبة بالذّات، فإنّ التّلازمَ امتناعُ وجودِ أحدِهما بدون الآخَر حتّىٰ يكونَ المحلُّ لازماً من الانفكاك، بحيثُ لو فرض كلاهما معدوماً لم يلزم هذا المُحالُ، لا مجرّد وجوب المعيّة في الوجود، و ليست الأمورُ الواجبةُ بالذّات كذلك بالبديهة، و أيضاً لو كان بينَ الواجبين لزومٌ لزم اجتماعُ الوجودين معاً، والملازمة كبطلان اللّازم مبيّنٌ بيّنٌ جدّاً.

<۸> نورٌ شرقيٌّ

تأثيرُ الأجسام و الجسمانيّات بمشاركة الوضع، و قد مرّ أنّ الحكمَ بذلك مأخوذٌ من التّجارب. و كأنّه أُشير إليهِ في الكتابِ الإلٰهيّ حكايةً عن الخليل ﷺ، حيث قال:

إنّي ﴿لَا أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ ، فإنّه ، علىٰ نبيّنا و عليه الصّلاة و السّلام ، من تكرّر مشاهدة توقّفِ تأثير الأجسام على الوضع تحدّسَ أن مُقيِّمَ العالم و مُنوِّرَهُ بنور الوجود ليس بجسم و لا جسمانيّ ، فقال : ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا﴾

ثمّ لمّا تأمّل في أجسام العالم من السّماوات و الأرض و عَلِمَ ما بينَهُما من التّلازم ، و أنّ الأُمورَ المتلازمةَ يجبُ أن يكونَ بعضُها علّةً لبعض آخَر و مستندةً إلىٰ علّة واحدة أو علل متلازمة ، قال : ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ ،

وكأنّ قولَهُ تعالىٰ : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ ناظرٌ إلىٰ ما ذكرناه أيضاً ، لا إلىٰ ما فسّره المفسّرون و المتكلّمون ، من أنّه لو كان فيهما آلِهَةٌ لوقع بينهُما عربدةٌ و نزاعٌ ، فإنّه خطابيٌّ جدّاً ،كما لا يخفىٰ.

<٩> إشراقٌ وتبصرةٌ

الواحد البسيط من جميع الجهات لا يختلف فيه الحيثيّات و الاعتبارات إلّا بعد تحقّق الكثرات .

<١٠> إشراقٌ لامعٌ

من بعض السّمعيّات يجبُ تجرّدُ العلّة الأولىٰ، و إلّا لما صحّ كونُها علّةً للأجسام و الهيولىٰ ؛ وكذا المعلول الأوّل، فإنّه بما مرّ يمتنعُ كونُه جسماً أو جسمانيّاً أو نفساً فلكيّاً أو إنسانيّاً ، و يستنيرُ كلُّ ذلك بما مرّ من الأنوار القمريّة و الأظلال الغربيّة .

<١١> أنوار قمريّةٌ فيها إشراقات شمسيّة

افتقارُ كلّ ممكن إلىٰ علّة يدلُّ علىٰ وجود واجب لذاته موجود بذاته ، يكونُ وجودهُ كوجوبيّة نفس ذاته ؛ ثمّ وجوبُه إن كان كافياً في كونه هذا لم يكن إلّا هذا ، فلم يتكثّر ، و إن لم يكن كان هذا لسَببٍ ، فلم يكن واجباً ، فوجوبُه و هو ذاتُه يدلُّ علىٰ وحدته ، «شَهِدَ اللهُ أنّهُ لا إلٰهَ إلّا هُوَ .» .

<١٢> إشراقات شمسيّة

استحالةُ الخلأ و امتناعُ خلوّ الجهة عمّا يُحدّدُها يدلُّ على التّلازم بين الأرض

و السّماء ، و امتناعُ قيام العرض بذاته و خلوّ الجواهر عن الأعراض يُوجِبُ تلازمَهُما ، و قد دريتَ حال المتلازمين من وجوب العليّة بينهما أو استنادهما إلىٰ غيرهما . فالمؤثّرُ في عالمِنا هذا لا يكونُ إلّا واحداً . قال الله تعالىٰ : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ .

<١٣> إنارةُ نور قمريّ

أوّلُ صادر عنه ، تعالىٰ ، واحدٌ مستقلّ الوجود و التّأثير ، و غيرُ العقل لايكون كذلك، لانتفاء الوحدة في الجسم ، والتّأثير في الهيولىٰ، واستقلال التّأثير في الصّورة و النّفس ؛ فإنّ النفسَ جسمانيٌّ فعلاً و إن كان مجرّداً ذاتاً ، و الوجود في العرض .

<١۴> ظلٌّ غربيٌّ

اختلافُ حركاتِ السّماوات البسيطة المتشابهة يجبُ أن يكونَ لاختلافٍ في معشوقاتها ، و إلّا لزم في تخصيص السّرعة و البطؤ ترجيحٌ بلا مُرجّح . ولى في ذلك تأمّلٌ.

<١۵> نورٌ قمريٌّ

امتناعُ استناد بعض الأجسام إلىٰ بعض ، و وجوبُ تناهي تأثير القوى الجسمانيّة ، و اختلافُ معشوقات مُحرّكات السّماوات يدلُّ علىٰ تكثّر العقول حسبَ تكثّر تلك الحركات المتكثّرة بتكثّر الكواكب و الأفلاك ، و يزيدُ عليها بواحد مُدبّر العنصريّات . و المذهبُ المنصورُ أنّه لا جزمَ بكيفيّة الصّدور .

<١۶> إشراقٌ شمسيٌّ في نور قمريّ

تبيّن بما تقرّر أنّ حركاتِ الأفلاك لنيل اُمور قُدسيّة و أنّها مع دوام وصالها و شدّةِ اتّصالها محترقةٌ بألَم الفراق ، في قلبها نيرانُ الأشواق . اعتبر طلوعَ لوامعِها في العشق ، فإنّها مدامعُ في سواد الحُدَق ، و انظر إلى اصفرار وجوهِها و احمرارها بدم عينِها أوانَ الشّفق. وذلك، مع أنّه خيالىّ شعريّ، ستر فيه سرٌّ إلٰهيٌّ بعدَ ذلك لعنوان آخر.

المجلى الثاني

<الأفلاك والعناصر>

<١> أنوارٌ قمريةٌ

الأفلاكُ تسعةٌ ، و الكواكبُ السّيّارةُ سبعةٌ ،كلّ في فلك ، و الثّابتةُ كثيرةٌ كلّها في الثّامن ، و المرصودُ منها ألفٌ و اثنان و عشرون . و العناصرُ أربعةٌ ، اثنان منها خارجان عن الشكل الطبيعيّ . و مقعّر النّار كحدب الهواء كريٌّ علىٰ الرّأي الأصحّ ، و هو كونهُ عنصراً برأسه ، إذكلُّ بسيط يقتضي بطبعه أن يكونَ كرةً ؛ فالإناء المملوُّ ماءً و هو أقربُ إلى المركز ، يحوي ماء أكثر ممّا يحويه و هو أبعدُ .

<٢> إشراقاتٌ شمسيّةٌ

ليس في المرصودة ـ والمرصودةُ غيرُ محصورةٍ فيما حسبوه و حصروه ، بل غيرُ ما تصوّروه وصوّروه من الصّور ـ صورٌ صوّرتَها فيما صوّرتَها ، و الباقي كالشّهب مشتعلة في الجوّ من النّار كالمصباح . فاعرف ذلك و اتلُ قولهُ تعالىٰ :

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُوماً لِّلشَّيَـٰطِينِ﴾

ثمّ انقلابُ الهواء إلى النّار مع طول المجاورة و اختلافُ الحركة يقتضي إهليلجيةً مقعّرةً ، سواء كان عنصراً برأسه أو لم يكن . ثمّ طباعُ القِطَع المنفصلة من البساط يقتضي كونَها كرّاتٍ تامّةً لا قِطعاً منها علىٰ ما يُشاهدُ من قطرات الماء المُنبثّة في الهواء . فلعلّ الأمرَ علىٰ خلاف ما أثبتوه و بنوا الكلامَ عليه و بيّنوه .

<٣> أظلالٌ غربيّةٌ

العناصرُ أربعة مشتركة في الهيولىٰ ، و لكلّ منها بل لكلّ جسم حيّزٌ ، و قد يكونُ ذلك مكاناً و قد يكونُ وضعاً فقط . و المكانُ عن السّطح و هيوليات الأفلاك مختلفة،وعدمُ الفصل يدلّ علىٰ انحصارها في تسعة ،

ومحيطُ الكلّ محدّدُ الجهات ، و الزّمانُ مقدارُ حركته، و هي غيرُ قابلة للخرق و الفساد و التّخلخل و التّكاثف و النّموّ و الذّبول ، لوجوب وجود مبدأ ميل مستدير فيها و امتناع اجتماعهِ مع الميل المستقيم . و لنا في ذلك تدقيقاتٌ و تحقيقاتٌ لا يسع المقامُ إيرادَها .

و المشهورُ أنّ هيولىٰ العناصر بواسطة القُرب و البُعد من الفلك استعدّت لأربع صور أو واحد و اثنين أو ثلاثة ؛ ثمّ بسبب حركات الأفلاك اختلطت و امتزجت و فسدت . و لا يخفىٰ فسادُ ذلك ، لما ثبت ، من أنّ كلّ ما ثبت قِدمُه امتنع عدمهُ ، فإنّه يوجبُ امتناعَ الفساد و الامتزاج و يستلزُم الحدوثَ الزّمانيّ في نوع الحادثات.

<۴> أنوارٌ شرقيّةٌ

عدمُ الفصل يدلّ علىٰ وحدة هيوليات الأفلاك و نفسها . فالمذهبُ المنصورُ : أنّ الأفلاك الجزئيّة في ثخن فلك عظيم مُماسّ بمُقعّر كرة النّار ، و هو مُحدّدُ الجهات المستقيمة من الحركات ، و هو الملّقبُ بالسماء . و حينئذٍ لا يحتاجُ في تتميم دلائل استدارة السّماء و كثير من احكامها إلى التّكلّفات المشهورة المذكورة في كتب القوم . و عندي أنّ مكان كلّ هو الجسمُ المحيطُ به بما هو مُحيطٌ به ، و يمتنعُ قِدمُ شيء من صور العنصريّات بشخصها ، و يجبُ قدحُها بنوعها ، و يجوزُ أن يكونَ بعضُها مُعِداً لحدوثِ بعض لا إلىٰ غير النّهاية ، بل يجبُ الانتهاء إلىٰ حادث بوضع فلكيّ . و هذا حكمُ جميع العنصريات من البسائط و المركّبات .

<۵> تبصرةٌ

المذهبُ المنصورُ أنّ الشُّهُبَ و ما يَشبهُها مصابيحُ جُعِلَت رُجُوماً للشياطين ، فإنّ الله ، تعالىٰ ، زيّن السّماء الدّنيا بمصابيح و جعلها رُجُوماً للشياطين ، علىٰ ما ورد في التّنزيل ، هكذا حقّق المقال ودع ما قيل أو يقال ، و ارم الشّهب الّتي هى الشُّبه المشوّشة الواردة من شياطين الخيال و أُولي وساوسِ القيل و القال بالمصابيح المشتعلةِ بالأنوار الإلٰهيّة الّتي تُزيّنُ السّماء سمائك بها .

<۶> تنبيهٌ

هيولياتُ الأفلاك و العناصر متغايرةٌ، و إلّا صحّ الفسادُ عليها.

<۷> تذكرةٌ

قد تحقّق وجودُ أجسامٍ مختلفةٍ محيطةٍ بعضُها ببعض.

<۸> تتميمٌ

الحاوي منها ليس علّةً للمحويّ، و إلّا لامتنع الخلأُ، و المحوىّ لضعفه و صغره و تجدّده بالحاوي، لا يوجد حاوية فموجدُهما مجرّد، فقد تجلّىٰ في هذا المجلىٰ النورُ العقليُّ مرّةً أخرىٰ.

المجلى الثالث

<الأفلاك، الشّمس والقمر، الكواكب>

<۱> أظلالٌ غربيّةٌ

الأفلاكُ الكلّيّةُ تسعةٌ، سبعةٌ منها منسوبةٌ إلى السيّارات مشتملةٌ علىٰ أفلاك جزئيّة تداوير و خارجة المركز. للشّمس خارجٌ و تدويرٌ، و للقمر جوزهرٌ و مائلٌ و خارجٌ و تدريرٌ، و للعطارد تدويرٌ و حاملٌ و مديرٌ، و للزّهرة و الثّلاثة الباقية حاملٌ و تدويرٌ. والمجموعُ خمسةٌ و عشرون، علىٰ ما ذهب إليه الأكثرون.

و زاد عليه أفضلُ المحقّقين من المتأخّرين، لحلّ الإشكالات الواردة عليها، أفلاكاً أُخرَ، مثل الصّغيرةِ والكبيرةِ والحافظِ، فإنّها تداويرُ واقعةٌ بعضُها في ثِخن بعض.

مركزُ الحافظ مركزُ التّدوير، و هي محيطة به واقعة في ثِخن الصّغيرة الواقعة في ثخن الكبيرة الواقعة في ثِخن الحامل. و اعتبر قطرَ الصّغيرة مثلَ ما بينَ مركزي الحائل و المائل في الهيئة المشهورة، و قطرُ الكبيرة ضِعفُ ذلك منطبقاً أحدُ طرفيه علىٰ طرف من قطر الصّغيرة.

و يُفرَضُ الحافظ بأيّ قدر يتفق في وضع يشترك بين مُحدّبيها و مُحدّبي الصّغيرة و الكبيرة فقط، منطبقة علىٰ نقطة الذّرة هي مُحدّب الحامل، لم يعرض حركةَ التّدوير علىٰ ما عليه في الهيئة المشهورة، علىٰ حركتي الحافظ و الكبيرة مساوية لحركة الحامل، و حركةُ الصّغيرة ضعفُ ذلك في خلاف جهتها.

<۲> تذكرةٌ

حركاتُ الحوامل في الخمس المتحيّرة و القمر متشابهةٌ حولَ نقطة مغايرة لمراكزها، والحضيضاتُ من أقطار تداوير تلك الخمسة لا تثبتُ في سطوح حواملها، و تلك الأبعاد الوسطىٰ في السّفلين، و مدارُ مركز التّدوير فيهما مقاطعٌ لمنطقة المُمثّل تقاطعاً غير ثابت.

و بهذه علىٰ ما هو المشهورُ عند الجمهور الإشكالاتُ بعيد عشر، و ينحلّ بأصل الكبيرة علىٰ ما أشير إليه خمسة، و يبقى أحد عشر.

<۳> إشراقاتٌ شمسيّةٌ

يمكنُ أن يُفرَضَ بدلَ أكثر الجوارح تداوير أو بالعكس حتّىٰ يكون لكلّ من العلويّة مُمثّلٌ و خارجان أو تدويران، و قس عليه السّفليّين. و لا يتوهّمُ امتناعُ ذلك فيهما، حيث لا يبعدان عن الشّمس كثيراً. و لا يحصلُ بينهُما و بينها جميعُ الاتّصالات، فإنّ حركةَ الوسط علىٰ أصل الخارج إنّما يُفرضُ على القول بمقدار حركة الاِختلاف، فبمقدارما يبعد الخارجُ مركز الكواكب عن وسط الشّمس إلىٰ خلاف التّوالي يردّهُ حامل الخارج بحركته على التّوالي.

و لا يبقى البعدُ بينَ مركز الكواكب وُسط الشّمس إلّا بمقدار التّعديان، كما في أصل التداوير؛ فإنّ مقدار التّعديل على الأصلين واحد.

و لقد فصّلنا كلّ ذلك في بعض التّعليقات مع حلّ الإشكالات الّتي استصعبوها علىٰ أنّ إراديّة الحركات تدفعُ كثيراً من الشّبهات، علىٰ ما ذكر في كتاب المعارج.

<٤> نورٌ شرقيٌّ

يمكنُ أن يُتصوَّرَ أفلاك القمر علىٰ وجهٍ آخَر غيرِ ما زُبِرَ فـي الزُّبُـر : و هـو أن يُفرَضَ حركةُ المائل إلى التـوالي كـلّ يـوم بـقدر حـركة العـرض ليـوم و هـي لح لح يـه م حتىٰ إذا ردّه الجـوزهرُ إلىٰ خـلاف التـوالي قـدرَ حـركته فـي يـوم ، و هي تا ح لى ما يبقىٰ حركة الطّول ليوم و هي يح لى لد بط متشابهة حول مركز العالم و إذا نقص منها حركة الشمس ليوم، و هي هابط ح لر، يبقىٰ قـوسُ البُـعد ، و هي قوسٌ من البروج ، هي فضل حركة الطول ليوم علىٰ حركة الشـمس ليـوم ، و هي نب لا الرالب.

و يفرض في ثخن المائل الكبيرة و الصّغيرة و الحافظة و تدوير القمر علىٰ أن يكون بُعدُ مركز التّدوير عن مركز الصّغيرة نصفَ ما بين المركزين ، و ابعدُ مركز الصّغيرة عن مركز الكبيرة مثله أيضاً ، و علىٰ أن يكونَ حركةُ الكبيرة في النّصف الأعلىٰ إلى التّوالي ومُساوية لسبق القمر ، وكذا حركة الحـافظة و حـركةُ الصّـغيرة ضِعفُ حركة الكبيرة في خلاف جهتها .

و علىٰ هذا، إذا فرضنا الرّأسَ و مركزَ التّدوير و الشّمس في أوّل الحمل ، مثلاً، ثمّ فرضناها متحرّكةً بما لها من الحركات .

فإذا بَعُدَ مركزُ التّدوير عـن الشّـمس بـحركة السّـبق ربـعَ دائـرة، و الصّـغيرة نصفاً، و حل مركز الصّغيرة إلى الطّرف الآخَر من قـطر مـنطقة الكـبير، و يكـونُ مركزُ التّدوير في أقرب بُعد مركز العالم، وكان في الأوّل في أبعد بُعد منه: يكونُ الفصلُ بينها بقدر قطر منطقة الكبيرة المساوي نصفَ ما بينَ المركزين.

و إذا بَعُدَ مركزُ التّدوير عن الشّمس ربعاً آخَرَ يكون الكبيرةُ قد تحرّكت نصفَ دورة، و الصّغيرةُ دورةً وصلت مركز التّدوير إلى الطّرف الأوّل مـن قـطر مـنطقة الكبيرة، و يكونُ في أبعد بُعد من مركز العالم.

فعلىٰ هذا يكونُ المركزُ في الإجماع و الاستقبال الوسطين في الأوج و في التّربيعين في الحضيض، و باقى أمور القمر يتمّ بهذه الأفلاك أيضاً.

<۵> تنبيهٌ

حركاتُ السّماوات غير متناهية، فهي مستمرّة من أُمور مجرّدة، فإنّ الجسمانيّات متناهية من تأثير أو تأثّر، و إلّا لزم تساوي الكلّ فيما تعدىٰ عليه لجزئه. لكن نقصان جزء القوّة عن كلّه في كلّ ما يقوى عليه ضروريّ. هذا غايةُ ما تقدر عندهم و توضيحه. ولي فيه أبحاثٌ، منها أنّه منقوضٌ بالهيولى.

<۶> نورٌ شرقيٌّ يستنيرُ به هذه الظّلمةُ

و إذا أثرّت أو تأثّرت من حيث هي متعدّد و بمشاركة القدر لزم التّناهي ضرورةً، و إذا تقدّم التأثّرُ على التّقدير، كما للهيولىٰ، فلا.

<۷> تكملةٌ

تأثيرُ الجسمانيّات بمشاركة القدر بديهيّة حاصلة من التّجربة، كما مرّ في الموضع. و لذلك كلّما كان الجسمُ أعظمَ كان تأثيرهُ أقوىٰ و أكثر.

<۸> متقدمة

نسبةُ القابل بالمقبول بالإمكان، و نسبةُ الفاعل إلى المفعول بالوجوب، فلا يكون القابل فاعلاً لمقبوله.

<۹> اشراقٌ شمسيٌّ ونور قمريٌّ

المحرّكُ بالعرض لابدّ له من مُحرّك متحرّك بذاتها، فإنّه مادام للطّرف حكمُ الوسط لا يحصل شيء. ثمّ كلّ قوّة محرّكة لجسم متحرّك بالذّات متحرّكة من ذاته، فلابدّ من مجرّد، قطعاً للتّسلسل و التّنافي.

المجلى الرابع

<الصّورة والهيولىٰ والنّفس المجرّدة>

<١> نورٌ قمريٌّ

الهيأةُ المقداريّةُ مغايرةٌ للصّورة الجسميّة الاتّصاليّة ، يظهرُ ذلك عند بقاء الثّانية و فساد الأوّل في الشّمعة الواحدة المتشكّلة بأشكال مختلفة .

<٢> إشراقٌ شمسيٌّ

الصّورُ الجسمانيّةُ الاِتصاليّةُ في الشّمعة المذكورة المتبدّلة باقيةٌ بالنّوع ، غيرُ باقية بالشّخص،كما توهّم. و الشّمعةُ المقداريّةُ قد تختلفُ بالنوع، فهي غيرُها. و بهذا الإشراق يضمحلّ كثيرٌ من الضّلالات الغريبة .

<٣> نورٌ شرقيٌّ

امتناعُ تداخل المقدّرات و ثبوتُ التّخلخل و التّكاثف الحقيقيّتين يُثبِتُ الهيولىٰ و يُبطِلُ مذهبَ ذيمقراطيس .

<۴> تنبيهٌ

من هذا يعلمُ بالضّرورة أنّه ليس في الماء ما لا يقبلُ الفلك أصلاً .

<۵> اشارةٌ

صحّةُ انقسام الجسم إلىٰ غير النّهاية مع وجوب تناهي أجزائه يُوجِبُ أجساماً مفردةً، و عدمُ انعدامها بالمرّة عند انفصالها مع انعدام الصّورة يُثبتُ الهيولىٰ، و بتعريفها للهيولىٰ يُثبِتُ جوهريّتَها، و امتناعُ تجرّدهما يُثبِتُ التّلازم بينهما، فامتناعُ تقدّم كلّ منهما علىٰ صاحبه و جواز انعدام الصّورة يُثبِتُ إمكانهما .

<۶> تنبيهٌ

تبيّن تركّبُ بعض الأجسام من الهيولىٰ و الصّورة. و ذلك يستلزم جريانَ الحكم

في الكلّ، فإنّ الصّورة الجسميّة من حيث هي طبيعة نوعيّة محصّلة لا تختلفُ بالفصول، بل بالخارجيّات . فاذا احتاجت إلى المحلّ في بعض الأجسام لزم احتياجُها في الكلّ ، إذ الحاجةُ إن كانت لذاتها أولاً من لازم لزمت، فإن كان لمفارق لزم إمكانُ انفكاكها عن المادّة، وهو مُحال،إذ لو انفكّت تشكّلت وتقدّرت بالضّرورة فاحتاجت إلىٰ مادّة،علىٰ أنّ المجموع إلى المادّة هو قبوله لذاته القسمةَ، وذلك مشتركة بديهةً.

<۷> نورٌ قمريٌّ

الأبعادُ متناهيةٌ، و إلّا لامكن أن يخرجَ من نقطة واحدة خطّان كأنهما ساقا مُثلّثٍ متساوي الأضلاع ، فيكون أوتارُ الزّاوية متساويةً لساقيه و هما غيرُ متناهيين. فالأوتارُ المحصورةُ بينها أيضاً غير متناهية، و ذلك بديهيُّ البطلان. و فيه نظرٌ ظاهرٌ، إذ كلّ ما ذكر لإتمامه غيرُ تمام، علىٰ ما فصّل في موضعه .

<۸> إشراقٌ شمسيٌّ يَضمحلُّ بهِ كثيرٌ من الشّبهات

يجوزُ أن يكون نسبةُ خطّ إلىٰ خطّ كنسبة سطح إلىٰ سطح في الزّيادة . فكلّ ما زاد و زاد فإذا صار حظّهُ ضِعفَ خطّ صار السّطحُ ضعفَ السّطح، وكذلك فيما زاد علىٰ ذلك و المسطّح جهات كثيرة. و يُحتمل أن يكون السّطحُ إلىٰ سطح نسبة من جهة لم يكن إليه تلك النّسبةُ من جهة أُخرىٰ. فلنفَرُض في السّطح الغير المتناهي من جهة الزّوية مثلاً ، فنقول: لمّا فرضنا الإمتدادَ بقدر الانفراح كان نسبةُ السّطح الواقع بين الخطّين الغير المتناهيين إلىٰ أحد ساقي المثلث، بل كنسبة السّطح إلى السّطح في جهة الامتداد. و ذلك يستلزمُ عدَم تناهي السّطح العظيم في الجهة الواقعة بين الخطّين، فيكون غيرُ المتناهي محصوراً بينَ حاصرين. و فيه ما فيه .

<۹> إشراقٌ في ظلّ قمريّ

و ذلك تقديرٌ آخرُ للبُرهان السُّلميّ الّذي أشرنا إليه فيما مضى. نفرضُ كلّ خطّ عرضيّ مع أحد الضّلعين خطّاً موازياً للضّلع الآخر، فيحدث موازيات غير متناهية تقرّرُ سطوحاً غيرَ متناهية في جانب العرض. و إذا انضمّ إلىٰ مقدار سطحين بعينه

سطوحٌ متناهيةُ العرض غيرُ متناهي العدّة في جانب العرض وجب عرضُ تناهي عرض الجملة. لكنّ العرضَ عرضٌ محصورٌ بينَ حاصرين . و لا يخفىٰ أنّ هذا الوجهَ إنّما يتمُّ لو جُعِلَت زاويةُ الخطّين المارّين إلىٰ غير النّهاية مادّية، حتىٰ يكون كلّ عمود يقدّمُ على الموازيات منطقاً بالضّلع الآخر، فيلزمُ انحصار ما لا يتناهىٰ بين حاصرين . و أمّا إذا كانت قائمة فيكون الأعمدةُ الفرضيّةُ المذكورةُ موازيةً للضّلع الآخرَ ، فلا يلزم الانحصارُ و لا يتمّ في الدليل . و في المنفرجة أظهرُ .

<١٠> نورٌ قمريٌّ

الصّورة الجسميّةُ لا تتجرّدُ عن الهيولىٰ، إذ لو تجرّدت لكانت متناهية، لما مرّ . وكلُّ متناهٍ مُشكّلٌ وكلُّ مُشكّل مادّيٌّ، ضرورةَ أنّ الشّكل المُعيّنَ ليس من لوازم الجسميّة بما هي جسميّة فيصحُّ زوالُها و ذلك مستلزمٌ للمادّة علىٰ ما فُصّل في مواضع لائقة به .

<١١> ظلٌّ كاشفٌ

ما مرّ يدلُّ على امتناع اللّاتناهي في جميع الجهات، و ذلك لا يستلزم امتناعه مطلقاً .

<١٢> نورٌ كاشفٌ

يلزم المطلوب من التّناهي في بعض الجهات، و لا يصيرُ عدمُ تسميته بالشّكل حيثُ يدلّ علىٰ ثبوت المادة،كما يدلّ عليه الشّكلُ .

<١٣> تلويحٌ

كلُّ جوهر ذي وضع منقسمٌ في الجهاتِ الثّلاثِ بديهةً ، ولو وهماً، فإنّ ما منه إلىٰ جهةٍ غيرُ ما منه إلىٰ جهةٍ أُخرىٰ .

<١٤> إشراقٌ

لو تجرّدت الهيولىٰ عن الجسميّة لم تكن هيولىٰ، فإنّها إن قارنت الوضعَ

كانت جسميّة بجوهريّتها و عدم قيامها بالغير لا هيولىٰ، و إن لم يقارنه امتنع مقارنتُها إيّاها، لامتناع مقارنة ذي الوضع لما وضع له و صيرورته ذا وضع، و لعدم أولويّته بوضع جزئيّ، بخلاف الهيوليات المقترنة بوضع قبل اقتران الصّورة الجديدة، و الصّورة النوعيّة لا تخصّص . و فيه تأمّلٌ .

<۱۵> إشراقٌ

العلّة يجبُ أن يكونَ موجوداً متعيناً قبل المعلول، و الصّورةُ متعيّنٌ بعوارض حالّة في الهيولىٰ المتعيّنة بالصّورة، فليس شيءٌ منها علّةً للأُخرى، و يجبُ أن يكونَ مُقوّمُها من المبادي المفارقة، و لا تسلسلَ .

<۱۶> تنبيهٌ

اختصاصُ كلّ جسم بآثار خاصّة يُثبِتُ الصّورَ النّوعيّة الزّائدة على الأمزجة المعلولة لها الغير الباقية ببقائها و لغير الإسم مَحالّها يوجبُ جوهريّتَها. و هي نفسٌ إن كانت مبدأ الأفاعيل متعيّنةً بقوى مختلفةٍ، أو مصدراً لحركاتٍ إرادية متعيّنة أو غير متعيّنة بالمعنى الأخير شاملةٍ للنّفوس الفلكيّة الإنسانيّة، و حضورُ المجرّدات لديها مع كلالها يدلُّ علىٰ تجرّدها ذاتاً .

<۱۷> لمعةٌ إشراقيةٌ

النّفوسُ الزّكيّة المُشرِقَةُ المُشرِفَةُ على الأُمور الخفيّة لا تعزُبُ عنها مَحالُّ مُدركاتها، و العلمُ عدمُ الغيبة، و مَحالُّ الأمور الغير الغائبة غيرُ غائبة إشراقاً، بل بديهةً، و كذا كيفيّةُ حلولها فيها .

<۱۸> ظلٌّ غربيٌّ

لكلّ نوع فردٌ أزليٌّ أبديٌّ قابلٌ لجميع المتقابلات .

<۱۹> نورٌ قمريٌّ

لكلّ نوع عقلٌ مجرّدٌ يدبّره. و اعلَم أنّ المُثُلَ الأفلاطونيّة قد تأوّلُ بالأوّل

و قد تأوّلُ بالثاني . و ليس شيءٌ منها بشيء .

<٢٠> إشراقٌ شمسيٌّ

اللمعةُ النيّرةُ تُريك امتناعَ انطباع الصّور العقليّة في المَحالّ الخياليّة والنّفسيّة . فهي إذن موجودات خارجيّة، و بذلك يتحقّق المُثُلُ الأفلاطونيّة في العوالم الحِسيّة العقليّة. و ما ورد في الكتب لامتناع وجود الكلّيات في الخارج ليسَ مِمّا يُلتفتُ إليه، إذ وجودها في الخارج بنحو ثبوتها في الذّهن غيرُ ممتنع .

<٢١> نورٌ شرقيٌّ

الذّكرُ ليس لبقاء الصّور في لوح الخيال، و لا لانتقاشِها في البـرازح العـلويّة، بل لفيضانها مرّةً أُخرىٰ من المبدأ الخالي عن النّقوش الحِسيّة ، و هذا مشترك بين الصّور الكليّة و الجزئيّة .

<٢٢> نورٌ شرقيٌّ

مزاجُ الإنسان خارجٌ عن الاعتدال في طرف البرودة ، لغلبة الأجزاء الأرضيّة عليه . فمن كان منه في هواء أوكان إلى الاعتدال الحقيقيّ أقربَ، فإنّ الهواء يُغيّرُ مزاجَ الحادث فيه إلىٰ ما يُشاكله، سيّما النطفة السّريعة التّغيّر و التّأثر، و خطُّ الاستواء مِزاجُ سُكّانه إلى الاعتدال أقربُ.

<٢٣> إشاراتٌ

بقاء الذّات مع تبدّل خصوصيّات الأعضاء و إضافة جـميعها إليـها و اسـتمرار الشّعور بها مع الغفلة عنها يدلّ علىٰ تـجرّدها، و هـي المُـسـمّىٰ بـالنّاطقة و القـلبُ الحقيقيُّ المُشارُ إليها بقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّـٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّـٰهَا﴾ .

<٢٤> نورٌ قمريٌّ وإشراقٌ شمسيٌّ

النّفسُ الناطقةُ مع تجرّدها و وحدتها و مباينتها لا يخبر عنها عُضوٌ من الأعضاء و قوّة من القوىٰ، بل هي مُلابسها و بها قوّتها ، و هي الفاعل، و الجميعُ آلاتها . مَن

عرفها فقد عرف ربه، فإنّ تربيتَها للبدن تُشبِهُ تربيةَ الرّبّ للعالَم إذا ضعف منه.

و هناك يظهرُ معنى الرّبوبيّة و تفسيرُ قوله تعالىٰ: «إنّهُ فوقَ كلّ شيء و تحتَ كلّ شيء، قد ملأ الكلَّ عظمتُه، فلم يخل منه أرضٌ و لا سماءٌ و لا برٌّ و لا بحرٌ و لا هواءٌ، هو الأوّلُ، ما كان قبله شيءٌ، و هو الآخِرُ ليس بعده شيء، و هو الظاهرُ ليس فوقه شيء، و هو الباطن ليس دونه شيء، فلو دلّى على الأرض لدلّى على الله.» و في المشكاة أحاديثُ متقاربةٌ قريبةٌ من معنىٰ هذا وكذا تفسيرُ قوله: «بي يَسمَعُ و بي يُبصِرُ و بي يَبطِشُ و بي يَمشى».

و قد روى أنّه قال موسىٰ ﵇: «أقريبٌ أنتَ فأُناجيكَ أم بعيدٌ فأُناديكَ، فإني أحِسُّ حُسنَ صوتك و لا أراك، فأين أنتَ؟» فقال الله تعالى: «أنا خلفَك و أمامَك و ن يمينك و شمالك، أنا جليسُ عندَ مَن يذكرني، و أنا معه إذا دعاني». و أسانيدُ ذلك الحديث والنّقل في الآيات و الأحاديث كثيرة لا تُعدّ و لا تُحصىٰ.

<٢٥> ظلٌّ غربيٌّ

فسادُ كلّ فاسد إمّا لذاته أو للوازمها أو لأمور واردة عليه. و فسادُ الأوّلين ظاهرٌ و إلّا لما صحّ وجوده، و الأُمور الواردة عليه إمّا واردةٌ علىٰ ذاته أو محلّه أو علله و شروطه. و قد تبيّن في موضعه وجوبُ بقاء القابل مع المقبول. فالواردُ علىٰ شيء لا يبطله، فلو انعدم النّفسُ المجرّدة لكان انعدامُها بسبب طرء أمر علىٰ أحد عللها الأربع، الصّوريّة و المادّيّة و الفاعلة و الغائيّة، و ليس لها مادّةٌ منتظرةٌ، و طرء المُبطِلِ علىٰ فاعلها مُحالٌ، و صورتُها ذاتُها، و انعدام الغاية لا يُوجِبُ انعدامَها، إذ الغايةُ للإيجاد، و لا يستمرُّ باستمرار الوجود، علىٰ أنّ الحقّ أنّها لا غايةَ لها في الوجود. و إنّما هي فائضة بمحض الجود، و لا يخفى ما فيه.

<٢٦> إشراقٌ شمسيٌّ

الحوادثُ الزّمانيّةُ مسبوقة بمادّة، لوجوب تأخّرها عن حركات لا تكون في المجرّدات المتنزّهة عن الموادّ و علائقها، و تأثيرُ غيرها بمشاركة الوضع، و بهذا

الإشراق يظهرُ احتياج الفاسدات الضّروريّة، و فيه سرٌّ .

<٢٧> نورٌ شرقيٌّ

البدنُ لايكونُ علّةً لبقاء النّفس،وإلّا لزم كون الجسم علّةً وضع له. وفيه ما فيه.

<٢٨> نورٌ قمريٌّ

مرتبةُ العلّة أقوىٰ من مرتبة المعلول من حيث الوجود، و أضعفيّةُ مرتبة وجود العرض، من حيث إنّه عرضٌ مقيساً إلى الجوهر و إن لم يتوقّف عليه . ومُساواةُ الأجسام و الصّور، و الهيوليات معتبرة من تلك الحيثيّات مقيسةُ كلٍّ إلىٰ مشاكلها ممّا يحكم عليه الحدسُ الصّحيحُ المستنيرُ بالأنوار العقليّة الإشراقيّة .

<٢٩> تفريعٌ

فلا تكونُ ظلمةٌ علّةً لظلمةٍ و لا لنور، فليس البدنُ و لا جسمٌ آخَرُ علّةً للنفس، و هي ممكنةٌ، فعلّتُها مجرّدة عقليّةٌ لضعفٍ نوريّتها و امتناع كثرةِ الجهات في الواجب و توقّف فعلها على الآلة و الوضع مع التماثل في آحادها .

<٣٠> أظلالٌ غربيّةٌ كاشفةٌ لتلك الأنوار القمريّة

ما تقرّر في الحكمة الرّسميّة من امتناع اختلاف الوجود قوّةً و ضعفاً يُنافي ما حكم به من أضعفيّة وجود المعلول و تأثّر النّفس النّاطقة عمّا يرتسم في قواها الجزئيّة الحِسيّة و حدوثها عن تمام استعداد البدن بظلم النّور القمريّ المظهر لكون تأثير الجسمانيّات بمشاركة الوضع علىٰ أنّ المادّي يتأثّرُ عن المجرّد مع عدم النّسبة الوضعيّة، و ليس بالجواز أولىٰ من عكسه .

<٣١> إشراقاتٌ كاشفةٌ لتلك الأظلال الغربيّة

ليس المرادُ من القوّة و الغضب ما يرجعُ إلى الوجود، بل المرادُ بهما ما يرجعُ إلى الماهيّة الموجودة، كالمرتبة الشّديدة و الضّعيفة من السّواد و الحرارة مثلاً. و ذلك مبنيّ علىٰ ما زعموا، من أنّ كلّ جسمانيّ يوجد مثله. فإنّما يُوجَدُ مرتبة

أضعف، و يلزمُ من ذلك أن لا تكون الأُمورُ المتواطئةُ بعضُها علّةً لبعض، لكنّ الهيوليات و الصّورة الجسميّة بل الأجسام متواطئة مقيسة علىٰ شاكلها، فلا يكون شيءٌ منها معلولاً بمثله،فكيف لما هو أضعفُ و أنقصُ ،كالضّعيف للشّديد والصّغير للكبير. وأمّا الظّلماتُ الباقيةُ فمرتفعةٌ عند إشراقالنّور المُميّز بين المُعِدّ المؤثّر علىٰ أنّ البدنَ بمنزلة المادّة و إن لم يكن مادّة. ثمّ إنّ النّسبة الوضعيّة غيرُ لازمة في كلّ تأثير، بل التّجربة دلّت علىٰ لزومه في تأثير الجسمانيّات دون عكسه . وفيه ما فيه.

<۳۲> إشراقٌ شمسيٌّ

الشّمسُ علّةٌ لوجود الضّوء ، و هو علّة لحدوث الحرارة، لذلك يرتفع الأوّلُ و يبقى الثاني عند زوال النّسبة الوصفيّة .

<۳۳> كشفٌ

الوجودُ لا يكونُ علّةً ذاتيّةً للعدم.

<۳۴> إشارةٌ

عليّةُ القوى الجسمانيّة قد تكون زمانيّةً،وتلك المقدّمة أيضاً تجربيّةٌ حدسيّة،ولذلك لا تخرق الأجسام السّريعة النّفوذ في النّار، و تزداد الحرارةُ عند طول لبث المُسَخّن .

<۳۵> إشارةٌ

فعلُ القوى الجرميّة في موادّ مقارنة لمحالّها باعدادها لقبول ما يناسبها من المبادى العالية، و قد يستلزمُ ذلك زوالَ صورها و أعراضها، لا في إعدام تلك الصّور و الأعراض بالذّات.

<۳۶> تنبيهٌ

علّةُ زوال الحرارة عندَ زوال مقابلة الشّمس، مثلاً، مدافعةُ طبيعة المحلّ إيّاها في الزّمان، و من استنار بتلك الإنارة و تنبّه بهذا التّنبيه و الإشارة اتّضح له كيفيّةُ الامتزاج بينَ العناصر و ارتفع عنه كثيرٌ من الشبهات.

المجلى الخامسُ

<الحركة في المقولات والحركة الإراديّة في النّفوس>

<١> ظلّ غربيٌّ

المقولاتُ عشرةٌ، منها الحركةُ و التّحريكُ، و هما الفعل و الانفعال، و لا يـقعُ الحركةُ إلّا في أربع، هي الأين و الوضع و الكم و الكيف، و لا يقعُ في الباقي، أعنى الجوهر، و المِلك و الإضافة و الفعل و الانفعال و متىٰ.

و استدلّ علىٰ ذلك بطرق شتّىٰ، لا يستقيم شيء منها ، علىٰ ما لا يخفىٰ عـلى النّاظر فيها. و معنىٰ وقوع الحركة في المقولة أن يكونَ للمتحرّك في كـلّ آن مـن آنات زمان الحركة فردٌ آخرٌ من أفراد المقولة .

<٢> نورٌ شرقيٌّ

وقوعُ الحركة في الثّلاثة الأخيرة يستلزمُ وقوعَ المنقسم التدريجيّ فـي الغـير المنقسم الدّفعيّ .

<٣> إشراقٌ شمسيٌّ

لا يتصوّرُ تبدّلُ موضوع واحد في أين أو وضع إلّا بالحركة، و في الكم تفصيلٌ أوردته في التّعليقات .

<٤> نورٌ قمريٌّ

الحوادثُ الفلكيّةُ علّةٌ للحوادث العنصريّة.

<٥> ظلٌّ ساترٌ له

علّةُ وجود الحوادث إن كانت قديمةً لزم قِدُم الحادث، و إن كانت حادثة يلزم الدّورُ أو التّسلسلُ . و أجابوا عن ذلك باستناد الحوادث إلىٰ أسباب مُعدّة لها غـير متناهية ممتنعة الاِجتماع ، وهي الأوضاع الفلكيّة المتحصلة بالحركات السّرمديّة،

و كلّ من تلك الأوضاع مسبوقٌ بغيرها لا إلىٰ نهاية، و ذهبوا إلىٰ أنّ التسلسل في الأُمور الغير المجتمعة جائزٌ ، لعدم اجتماعها.

وأنت خبيرٌ بما فيه،إذ الأُمورُ المترتّبة ، مجتمعة كانت أولا ، ما لم يحصل أحدُها، لا يتصوّرُ حصول الباقي، و مادام للطرف حكمُ الوسط يمتنعُ حصولُ شيء منها .

<۶> نورٌ شرقيٌّ كاشفٌ للظلّ المُظلِم الغربيّ

كلُّ حادث من الحوادث الفلكيّة مسبوقٌ بامتداد زمانيّ موهوم وحدانيّ غيرُ متناه، و لا يُمكِنُ حصولُ ذلك الحادث إلّا بعدَ انقضاء ذلك الامتداد، و الحوادثُ مختلفةٌ بحسب اختلاف الامتدادات المقتضية زيادةً و نقصاناً، و الموجودُ من الحركة ـ علىٰ ما قيل ـ إنّما هي التوسّط القارّ الّذي يصحُّ استنادُه إلىٰ علّة واحدة قديمة، و تبدّلُ النّسب الّذى يلزمه كثرتُها فرضيّة ، حكمُها فيما ذكرنا حكمُ الأوضاع الفلكية .

و بالجملة، ليس كلّ حادث معلّلاً بأُمور حادثة غير متناهية ليلزم خلفٌ، بل كلُّ حادث مسبوقٌ بأمر واحد غير متناه، و هو تبدّلُ النّسب المتقضية اللّازمة للحركة التوسّطيّة و ما يشبهه، فاعرِفه، فإنّه مع وضوحه لا يخلو عن دقّة مّا، و هو بعدُ محلُّ نظر .

و الحقُّ أنّ إمكانَ صدور الحركة عن المتحرّك بالإرادة بديهيٌّ، و القدحُ فيه كالقدح في سائر البديهيّات غيرُ مسموع. و ذلك يكفينا في صدور الحادث عن القديم و اندفاعَ الإشكال .

و بالجملة ، الحركاتُ و الأوضاعُ تُعِدُّ الموادّ لقبول الصّور و الأعراض المجرّدة و الجرميّة، و هي لحدوثها و تغيّرها ممكنة، و علّةُ المجرّد لاشتراط الزّمان و القدر و الوضع في الجسمانيّات علىٰ أن الحقّ استنادُ الكلّ إلى المجرّدات ، بل إلىٰ واحدٍ منها هو مبدأها .

<٧> تكملةٌ لهذا المَجلىٰ

لا يخفىٰ على العرفاء أنّي خالفتُ في كثير من مقاصد هذه الرّسالة كثيراً من العلماء، و ما أشرتُ إلى الطّريقة الّتي بها عدلتُ عن طريقتهم و الغرض الّذي له أعرضتُ عن

سيرتهم إلّا نادراً، حتّى انتشرت الرّسالة في الأطراف و تعرّفت في الأصقاع و الأكناف، فتلّقاها قومٌ بالقبول ،كما هو شأنُ أرباب العقول و دأبُ أصحاب الاقبال و القبول ؛ و أقبل عليها آخرون بالرّدّ و الإيراد ،كما هو شنشنةُ أصحاب الحسد و العناد ؛ و شرذمةٌ استكبّت للأخذ و الانتهاب،كما يُنسَبُ إلىٰ جمع من الأعجام و واحد من الأعراب ، و إنّي لا أبالي بشيء منها ، و ليس الكلامُ إلّا للفرقة الأولىٰ، و لقد صدق من قال: «إنّ الأخذَ و الاشهابَ أمرٌ يرتاحُ به اللّبيبُ و للأرضِ من كأس الكرام نصيبٌ.

ثمّ إنّي أشرتُ في تلك الكلمة الّتي ألحقتُ في تلك السّنة ، الّتي هي سنةُ تسع مائة الهجريّة ، بهذا المجلىٰ إلىٰ أصولٍ خالفتُ فيها المشهورَ من كلام الجمهور مُنبّهاً علىٰ علّة عدم الموافقة و مُشيراً إلىٰ موضع يثبتُ فيه لمّيةُ المخالفة، لئلّا يُغفلَ عنها عند بناء المباني عليها، و ليزدادَ هداية الهادين، و لا اعتبار بضلالة الضّالّين .

و لكون البُعد بين الإلحاق و تأليف الرّسالة بخمسة من السّنين، وكون ما بعدَ هذا المجلىٰ غير مبيّنٍ علىٰ مجرّد البراهين و سائر المناسبات الّتي ألحقتُها بهذا المجلى دونَ غيرها ، فنقول:

إنّ الّذي تفرّدتُ باختراعه ممّا يُخالِفُ المشهورَ من كلام الجمهور أُمورٌ .

الأوّل: إنّ المكانُ هو الجسمُ المحيطُ من حيثُ إنّه محيطٌ. و بيانُ ذلك أنّ القومَ اختلفوا في ماهيّة المكان: فمنهُم من ذهب إلىٰ انّهُ الهيولىٰ، و منهم من قال بأنّه البُعدُ المجرّدُ، و منهُم من تصوّر أنّه السّطحُ الباطنُ من الجسم الحاوي المُماسّ للسطح الظاهر من الجسم المحويّ .

و لمّا كان فسادُ المذهب الأوّل ظاهراً ما التفت إليها أربابُ التحصيل، و وقع النّزاعُ بينهُم في المذهبين الأخيرين، فقال قومٌ، [و منهم أفلاطون، بأنّهُ البُعدُ المُجرّدُ المُداخِل لأبعاد الجسم، و قال آخرون] و منهم أرسطو، بأنّه السّطحُ المذكورُ .

و أُورِدَ علىٰ مذهبِ أفلاطون الإشكالُ من وجوه: منها أنّ تداخل المتقدّرات للممتدّ مُحالٌ ، و منها أنّ البُعد بما هو بُعدٌ يصحّ عليه الحركةُ، و ذلك يستلزمُ عدمَ تناهي الأمكنة في مكان واحد و هكذا . و منها امتناعُ وجود بُعد مجرّد عن المادّة،

لما مرّ في بحث الهيولىٰ .

و رُدّ مذهبُ أرسطو : بأنّه لو كان سطحاً لزم سكونُ المتحرك و تحرّك الساكن و عدم عموم الأمكنة ، مع حكمهم بأنّ لكلّ جسم مكاناً، و حصول الجسم في ظَرف موهوم و قصده إيّاه مع أنّ الضّرورة قاضية بوجود المكان .

و أيضاً المكانُ يجبُ أن يكون مساوياً للمتمكن، و إذاكان سطحاً لم يكن كذلك ، ضرورَة أنّ المكانَ قد يزدادُ مع بقاء المتمكّن، و قد يكونُ بالعكس، و لم يكن المتمكن مالئاً للمكان مع وجوب ذلك، فهذا شيء ممّا في المذهبين .

و نحنُ لورود الإيرادِ عليهما عدلنا عنهما و حكمنا بأنّ الجسم المحيط من حيثُ إنّه محيط ليسلمَ عن جميع الإيرادات الواردة على البُعد و عن أكثر الإيرادات الواردة على السّطح .

و لا يخفىٰ أنّ دفعَ الإيرادات المشتركة بينَ هذا المذهب و السطح عن المذهب أسهلُ. و أيضاً الفطرةُ الصحيحةُ تحكمُ بهذا دونَ السّطح، فإنّه إذا سئل عن مكان الماء يُجابُ بأنّه الكوز، لا السّطح الموهوم من الكوز، و قد ألّفنا في بيان ذلك رسالة مفردة، و أوردنا فيها وجوهاً برهانيّة تدلّ علىٰ إثبات هذا المذهب و امتناع غيره، و لنكتفِ هٰهنا بهذا. و أمّا الحكمُ بعموم الأمكنة فممنوعٌ. و أمّا ما حُكِمَ بعمومه ليسَ إلّا الحيّز، و الحيّزُ. إمّا مكانٌ و إمّا وضعٌ و ترتيبٌ .

الثاني: من تلك الأمورأنّ موادّ الأفلاك بل و العناصر أيضاً واحدة، و البرهان عليه مذكور في سائر رسائلنا، فإنّه طويل لا يليق إيراده هٰهنا، و أدلّةُ تعدّدها مدخولةٌ، علىٰ ما فصّلنا في موضعه .

الثالثُ: إنّ محدّد الجهات هو الفلك العظيم المشتمل على الكواكب الثّابتة و السيّارة المرصودة، لا أنّه فلكٌ خارجٌ عن أفلاكها محيطٌ بها،كما مرّت الإشارةُ إليه.

الرابعُ: إنّ عالم المثال موجودٌ خلافاً للمشّائين ، و متقدّرٌ خلافاً للإشراقيّين، و مظهرةُ الأجرام اللطيفة، و قد أشير إلىٰ بيانه في شرحنا لهياكل النّور .

الخامسُ: إنّ الذكر ليسَ ما يحفظ الصّورة في القوّة الجرميّة،كما رآه المشّاؤون، و لا بانتقاشها في سطوح الأفلاك كما حسبه الإشراقيّون ؛ فإنّ الأوّل بعيدٌ متعسرٌ بل متعذرٌ و الثانى أبعدُ و أشدُّ استحالةً، بل بفيضانها مرّةً أُخرىٰ من المبدأ،كما أشرنا إليه في هذه الرسالة، و فصّل في شرح الهياكل.

السادسُ: إنّ صورَ المعقولات موجودة غير قائمة بشيء من المَحالّ لا بالنّفوس و لا بالعقول كما ذهب إليه القوم، و قد برهنّا علىٰ ذلك في كتابنا المسمّىٰ بالمعارف المنصورية.

السابعُ: إنّ النّار إهليلجيٌّ ، سواء كان عنصراً برأسه أولم يكن،كما مرّ .

الثامنُ: إنّه ليس في الثّامن إلّا المرصودة و الباقي كالشّهب، و الشّهب ليست مجرّد الأدخنة،كما زعم القوم، و قد مرّ غير مرّة، و بيانُ ذلك أيضاً في رسالة مفردة .

التاسعُ: إنّ فرعيّة البسائط الأربعة العنصريّة ليس بحلول أمر مغاير لموادّها فيها، لا جوهريّة كما ذهب إليه المشّاؤون و لا عرضيّة كما اختاره الإشراقيّون؛ و إنّما هي أنواعٌ بسيطةٌ ليست أجناسُها و فصولُها مأخوذةً من موادّها و صورها كسائر المركّبات العنصريّة، و ليس لها نفوسٌ مجرّدة كالبسائط الفلكيّة، و إلىٰ ذلك أُشيرَ في المعارف المتصورية .

العاشرُ: إنّ مبدأ صفاتها الخاصّة بها و آثارها أربعةٌ، عقول مجرّدة، فإنّ تلك البسائط لا يجوزُ أن تكونَ معلولةً لأمر واحد بسيط عقليّ ،كالعقل الفعّال ، علىٰ ما رآه القوم، لا مطلقاً و لا بحسب اختلاف الاستعدادات. أمّا الأوّلُ فظاهرٌ ، لامتناع صدور الكثير عن الواحد . و أمّا الثانيّ فلإنّ الاستعدادات علىٰ ما ذكروه و سلّموه إنّما تحصلُ بأوضاع و حركات جسمانيّة زمانيته متأخّرة عن أجسام أُخَر. و ذلك يستلزم حدوثها الزّمانيّ المستلزم لخلوّ موادّها عنها في أزمنة غير متناهية .

و من ذلك يتفطن اللّبيبُ بأنّه لا يجوزُ أن تكون عللُها أو مُعدّاتُها أُموراً متكثّرةً جسمانيّةً، لاستلزام ذلك: إمّا الخلأ أو خلوّ موادّها عن نوعيتها، بل عن مطلق

النوعيّة، و استحالة ذلك أظهرُ من أن يخفى. و بيانهُ طويل لا يـليق إيـرادهُ هٰـهنا، و إجمالُه في المعارف المنصوريّة، و تفصيله في رسالة مفردة. و إذا بطلت الأقسام بقي أن تكون علّةُ نوعيّتها و سائر خواصّها و لوازمها الأربعة عقولاً مجرّدة، فلكلّ بسيط من البسائط الفلكية عقلٌ مدبّرٌ و نفسٌ مجرّدٌ، و ليس من البسائط العنصريّة عقلٌ مدبّرٌ لا غير.

الحادي عشر: إنّ علةَ حدوث قوس قزح أنّ الشّمسَ إذا أشـرقت عـلىٰ جـرم غير لطيف جدّاً وكان ضوءُ الشّمس أوانَ طلوعها و غروبها. و ذلك هـو السّـببُ لحمرة الشفق. فإذا حدث في الجوّ أجزاءٌ بخاريّةٌ مايلة إلى الكثافة، و راءها جسم كثيف وكانت الشّمسُ في مقابلتها، وقع الضّوءُ منها عليها، فما قـرب مـن تـلك الأجزاء إلىٰ سهم مخروط الشعاع حصل فيه الضّوءُ أكثر ممّا بَعُدَ، ضرورةَ أنّ حوالي السّهم أقربُ، لكون السّهم عموداً، و لأُمور أُخَر ذُكِرَ في موضعه، فيرىٰ إلى البياض أقربَ، سيّما إذا لم يكن وراءها كدرٌ، فلم يُرَ فيها كدورةُ ماوراءها و ظلمتُها.

ثمّ لاختلاط الضّوء بالظّلمة مراتبُ كثيرة يُرىٰ في بعضها الحمرةُ و في الأُخرىٰ الكراثيّة أو الزّنجاريّة أو الصُّفرة أو الشُّقرة، بحسب اختلاف مراتب اختلاطها.

فإن كان الضّوء الواقعُ علىٰ حوالي السّهم كثيراً و لم يكـن مـن ورائـها ظـلمة و علىٰ ما في أطرافها قليلاً لبُعدها عن السّهم و بُعد الشّمس عنها لقُربها عن الأفق. و بالجملة، الأسبابُ تعودُ إلى العلّة الفاعليّة و سائر العلل و المُعِدّات، ككدورة الهواء المتوسّط بسبب رشّ الأجزاء المائيّة و بُعد الشّمس الفاعل للضّوء و حصول الظّلمة في القابل بسبب ما يُرىٰ فيه من كدورة ماورائها و سائر الأسباب، وجبَ أن يُرىٰ في الأجزاء القريبة العريّة البياض.

وكذا في البعيدة الّتي لم يحصل فيها أسبابٌ، فله حدوثُ الضوء من كثرة توسّط البخار الكثيف لبعدها عن الأرض و غير ذلك من الأسباب المعدودة و غيرها من الأمور المذكورة في موضعها.

و في المتوسّطة ألواناً آخر بحسبِ اختلاف الضّوء و الظّلمة و امتزاجهما بالأسباب و العلل الفاعليّة و القابليّة، فتحدثُ في الجوّ في وسط الضّوء و البياض المرئيّ عند مقابلة الشّمس قسيٌّ مختلفة الألوان، و تلك القسيُّ هي المشهورةُ بقوس و قزح، و لكون حوالي السّهم مستديراً يُرىٰ قوساً و لا يُرىٰ تمام الاستدارة، لأنّ الشّمسَ قريبٌ من الأفق، فكان تمامهُ تحتَ الأفق .

فهذا هو الوجهُ الوجيهُ الصّوابُ الخالي عن الارتياب في حدوث قوس وقزح . ويستعمل في بيانه و البرهان عليه رسالة مفردةٌ .

و أمّا الوجهُ المشهورُ الّذي استحسنه الجمهورُ ـ و قد ألّفنا في بيانه رسالة أُخرىٰ ـ فلا يخلو عن حدس، كما ستطّلع في الرّسالة الموعودة .

<٨> ظلٌّ قمريٌّ كاشفٌ لهذا النّور الشمسيّ

يختلفُ أوضاع الهالة و القوس بحسبِ اختلاف مواضع الناظرين .

<٩> نورٌ شرقيٌّ

ليس مجرّدُ ما ذكر ممّا يُحدِثُهما، بل علّة حدوثهما مركّبةٌ ممّا مرّ و من تضاعف الانعكاسات و الانعطافات المختلفة المراتب، و من ذلك يظهرُ التّخالف من رأينا و أيهم، فإنّ العلّة المُحدِثة علىٰ مذهبنا مركّبةٌ من عشرة أصول :

الأوّل الضوء الحادث استقامةً من النيّر ، الثّاني الحادث انعكاساً منه ، الثالثُ الحادث انعطافاً منه ، الرّابع الضّوء الحادث استقامةً من جزء آخر ، الخامسُ الضّوء الحادث انعطافاً منه ، السّادسُ الحادث انعكاساً منه . و لا يخفىٰ أنّ كلّاً من الأقسام الثلاثة الأخيرة ينقسمُ إلىٰ ثلاثة، فيحصل تسعة ، لكنّ الكلّ مندرج في الثلاثة ، السّابعُ: الضوءُ المرئيّ من النيّر انعكاساً ، الثّامنُ: المرئيّ من جزء جزء استقامةً ، التّاسعُ: المرئيّ منه فيه انعطافاً ، العاشرُ: المرئيّ منه فيه انعكاساً ، فإن أمكن أن يُرىٰ من النّيرّ انعطافاً تحقّق قسمٌ حادي عشر ، و الأظهرُ: أنّه متصوّرٌ ممكنٌ ، كما حقّقناه في المناظر ، و بذلك ينحلّ كثيرٌ من الإشكالات علىٰ ما سُنفصّله

في الرّسالة الموعودة .

و أمّا علىٰ مذهبهم فمركّبة من ثلاثة: الأوّل الانعكاسُ البسيط لا غير ، الثّاني الضّوء المُشاهَد في الحقّ ، الثّالث الظّلمة المدركة من الجسم الكثيف ، و لذلك اشكل عليهم الأمرُ حتىٰ اعترف رئيسهُم بالعجز في كثير من أحواله ، سيّما ترتيب الألوان المختلفة المشاهدة فيها ، و بذلك يظهرُ وجه آخر في حدوث الهالة، و يليه القوس في أطراف النّهار و علّة كون هالة الشّمس في نصف النّهار في البلاد الباردة الكثيفة الهواء .

الثاني عشر: إنّ كلّ مركّب نفسٌ ، و لا يصحّ أن تكونَ نوعيّتُها و آثارُها الخاصّةُ بها و لوازمُها مستندةً إلى الصّورة المنطقيّة الّتي أثبتها الجمهورُ .

الثالث عشر: إنّ كلّ نفس مجرّدٌ .

الرابع عشر: إنّ نفوسَ الأفراد الإنسانية بل أفرادُ النّفوس مطلقاً مختلفةٌ نوعاً قديماً .

الخامس عشر: إنّ الرؤيةَ ليست بانطباع علىٰ ما ذكره المشاؤن، و لا بخروج الشّعاع علىٰ ما تخيّره آخرون، و لا بمجرّد الإضافة علىٰ مارآه المتكلمون و الإشراقيون، بل بما فصلّته في \التبصرة.

السادس عشر: إنّ الأفلاك لها بحركتها أصواتٌ. و ما قيل: «إنّ الصوت يجبُ قيامهُ بحبس رطب سيّال و حدوثُه من تموّجه» ليس بشيء و لا عليه برهان، و الأفلاك تدرك تلك الأصوات وَ تلتذُّ بها.

السابع عشر: إنّ حركاتِ الأفلاك جبريّة اضطراريّة ، لا اختياريّة، كالحركات الصّادرة عنّا بإرادتنا، و إنّما هي كالحركات الصّادرة عن المبادي العالية ، و لا شعور بها، و قد أشير في هذه الرسالة إلىٰ عللها . و لا يبعدُ أن يكونَ حدوثُ الأصوات اللّذيذة المطربة المُشوّقة إلى الأُمور العليّة المُحاكية للمناسبات العقلية من جملتها .

الثامن عشر: كلُّ حادث في هذا العالم فهو ظلّ مثاليٌّ لموجود فلكيّ،

و عليه برهان لطيف أشرتُ إليه زمراً، فكأنّ البروجُ الفلكيّ ظلّ للعالم النّوريّ، و الحوادث العنصريّة أظلالٌ للمُثُل الفلكيّة الحاجته أنوار نيّرات ذلك العالم، فكأنّه ظلّ ظلّ، بل ظلّ حادث من أظلال الأشخاص الفلكيّة الّتي هى أيضاً بوجه آخر أظلال، فاعرف ذلك، فإنّه مع وضوحه لا يخلو عن دقة و لطافة، فيه أسرارٌ تُطلِعُك علىٰ أسرار .

التاسع عشر: إنّ تأثير النّفوس البشريّة و إحداثها الخوارق و المعجزات لذواتها و لا للأعراض القابلة ،كما ذهب إليه المشاؤون و الإشراقيون ؛ بل لأمور نوريّة محيطة بها متنوّرة إيّاها ، و انعكاس تلك الأنوار الشّارقة منها إلىٰ غيرها، و قد أشرنا إلىٰ ذلك فيما بعدَ ذلك .

العشرون: إنّ المقولاتِ ليست عشرةً، هي الجوهر و الكم و الكيف و متىٰ و الأين و الوضع و أن يفعل و أن ينفعل و الملك و الإضافة كما رآه المشاؤون ؛ و لا خمسةً هي الجوهر و الكم و الكيف و الحركة و النسبة كما اختاره الإشراقيّون ؛ و لا أربعةً هى الجوهر والكم و الكيف و النّسبة كما زعم بعضهم .

بل منها ما هى معلومة إنيّةً و ماهيّةً، و هي ثلاثة، الجوهر و الكم و الكيف، و منها ما هي معلومة إنيّةً لا ماهيّةً ، و هي أجناسُ أجزاء الجسم إن كان لها جنسٌ، و منها ما هي بعكس ذلك ، و هي باقي المقولات العشرة . و المذهبُ المنصورُ: أنّه ليس بينَ المجرّد و المادّي و كذا بينَ الهيولىٰ و الصّورة، ذاتيٌّ مشتركٌ كالجوهر و العرض ، و الجوهر ليس بذاتيّ لما تحته ،كما رآه قومٌ.

الحادي و العشرون: إنّ حصرَ الموجود في الجوهر و العرض المنحصر في الخمسة و التّسعة غيرُ تمام، بل هناك أقسامٌ أُخَرُ خارجة عنها، أشرنا إليه في مواضع لائقة بها .

الثاني و العشرون: إنّ المجرّداتِ متناهيةٌ عدّةً، نفوساً كانت أو عقولاً .

الثالث و العشرون: إنّ كلّ مجرّد قديمٌ أزليٌّ أبديٌّ.

الرابع و العشرون: إنّ الأنوار المجرّدة المدبّرة يصحّ تعلقُها بمجالى مختلفة و انتقالُها من بعضها إلىٰ بعض آخر، عنصريّة كانت أو مثاليّة.

الخامس و العشرون: إنّ بعضَ تلك الأنوار ممّا لا يصحّ عليها قطعُ العلاقة مطلقاً.

السادس و العشرون: إنّ أبدانَ الحيوانات و النّباتات المشتملة على المسامات و الأغصان و الأعضاء بالوجه المشروح في كتب التشريح غيرُ صادرة عن طبائع لا شعورَ لها أصلاً، و إنّما هي صادرة عن فاعل مُريد عالم بمصالحها و منافعها، لا على الوجه المشهور المسطور في كتب الكلام، بل بوجه آخر حقيقةً، و فصّلته في موضعه. و إجمالُه ما أُشير إليه في هذه الرّسالة عند الحكم: بأنّ الأفعال الصّادرة عن البرازخ العلويّة قد تكون عن طبائعها و قد تكون عن إرادتها.

السابع و العشرون: إنّ الجسم المتحرّك بالعرض فيه ميلٌ، خلافاً للجمهور، و ليس الحركة العرضيّة ما يكون مبدأها خارجاً عن المتحرّك متّصلاً به اتّصالاً ينتقلُ بانتقاله و بها يتميّزُ عن القربة.

الثامن و العشرون: إنّ الكواكبَ من الطرفين عند حدّ أبداً.

التاسع و العشرون: إنّ تعلّق النّفس بالبدن ليس بعشقيّ، كما هو المشهور عند الجمهور، و إنّما هو جبريّ اضطراريّ تدبّره تدبير المضطرّ المحبوس بمُجلّه، خوفاً من تضرّره بخرابيّته، جهلاً منه بأنّ خرابه يُوجِبُ خلاصه.

الثلاثون: إنّ علّة العدم كعلّة الوجود قد تكون ذاتية و قد تكون عرضيّة، كما أنّ العدم لا يكون علّةً ذاتيةً للوجود، كذلك لا يكون الوجودُ علة ذاتيّة للعدم.

المجلى السادس

<المبدأ الأوّل وآثارِ رحمته>

<١> لمعةٌ

المبدأ الأوّل يزدادُ بساطةً و وحدةً عند ازديادِ معلولاته تركيباً وكثرة أنوار، المبدأ الأوّل لا تمثلّه الافكارُ و لا تدركه الأبصارُ، عالمٌ سميعٌ بصيرٌ حاكمٌ حكيمٌ قديرٌ، له غاية الكمال و البهاء و نهاية العظمة و الكبرياء . منه وجودُ الأشياء بإرادة و رضىٰ، لا بقصدٍ كقصدنا، وعلّةُ وجودها علمهُ الّذي هو نفسُ ذاته،وهو منزّهٌ عن الزّمان والمكان، محيطٌ بجميع الكليّات والجزئيّات، لا يعزبُ عن علمه مَثقالُ ذرّة في الأرض و لا في السّماء.

<٢> أظلالٌ غربيةٌ فيها أنوارٌ شرقيّةٌ

انظر آثارَ رحمة الله كيف بدأ الوجود ، و أجاد الجودَ، فأبدع جواهر نورانيّة روحانيّة، لا مكانيّة و لا زمانيّة، عاريةٌ عن المواد، عالية عن القوّة و الاستعداد، فتجلّىٰ لها و ألقىٰ فيها مثاله، فأظهر عنها أفعاله، و أمرها باختراع أجسام مستديرة و إبداع أجرام مستنيرة زمانيّة مكانيّة نورانيّة، منوّرة بأنوار النّفوس، مصوّرة بغرائب النّقوش، باقية علىٰ نسقِها بلا اختلال قواعد، ثابتة علىٰ أُصولها بلا انحلال .

فسُبحانَ من نوّرها و صوّرها، و للشّوق إلىٰ جمال باريها دوّرها، و جعلها آمِنةً من التّغيّر و الفساد ، غيرَ قابلة للأضداد و الأنداد ، قسّمها إلىٰ نجوم زاهرة باهرة و أفلاك عظيمة عديدة قاهرة غير ظاهرة ليتهيّأ اختلافُ الأوقات و يتيسّر نشوء الحيوان و النبات، فأبدع السّماء كأنّها حديقة خضراء أنبتت زهراء نضراء و جلّت

خلالُ رياضها من صفحة القمر و هالته بدراء و عذراء ، منوَّرةً بأنوار بديعة مثمِرة بثمراتٍ عجيبة لذيذة، و أبان طُرقَها و مناطقَها لتظهر الفصول، و تمزج الأركان و الأُصول ليفرح و يعرج الوجودُ من الخبائس الهيولانية إلى النّفائس الرّوحانية كما نزل منها إليها .

فمن بركاتِ تلك الحديقة اللطيفة و ما لها من الثّمرات يستمرُّ حياة الكائنات و يتيسّرُ نشوء الحيوان و النّبات، أعني بحسب اختلاف أوضاع الآباء العلوية و تنوّع استعدادات الأمّهات القابلة السّفليّة، يتولّدُ و ينعشُ مواليده ، و صور مانعة عن انحلالها و شعابها غير متناهية لصور أُمّهاتها مع بقائها و ثباتها، و هو معدن أن ستنوّر الممتزج بنور ظِلّيّ فائض عمن منبع النّور و معدن البركات.

و حينئذ غلبت قوّةُ الأمّهات و ظهرت الأُنوثة في البنات، و عند التّكافؤ رتبت النّبات المنوّر بتباشير صبح الحياة، و يتولّد الحيوانات عند غلبة قوّة الآباء و يستضيءُ هياكلها بالذّكاء الشّارق عليها من آفاق الاستواء ومشارق كمال الاعتدال و الاكتفاء ، و تقعُ عليها أظلال بل عكوس أنوار من العلم و القدرة و عند النّاطقة الكاملة يقف ترتيبُ الجود و بمبدائها تتصل دائرةُ الوجود. و سُتِرَ في ذلك سرٌّ.

ثمّ النفسُ الإنسانيّ و إن كان من عالم نورانيّ فهي لكونها على الظّلمات شديدَ الانكباب كثيرَ التوجّه إلىٰ ذلك الجناب ظلمانيٌّ و يُحيطُ به عالمٌ شريفٌ نوراني، فيه شمسٌ مشرقةٌ بالذّات اقتبست ذواتُ الظلمات منها النّور، فنشرت في جوّ الكاينات بها الظّهورَ ارسلت إليها جلّ شعاعُها ليسهل العروجُ من مهاوى عالم الزّور إلىٰ معارج النور . فانظر كيف يُريك أنوارَ البرازج المُظلِمَة، سيّما الفلكية المنوّرة بالأنوار الكوكبيّة، سناء عالم النور و ضياءه، و حسن معدن السّرور و بهاءه، فهي تُريك الأوجه الغُرّ من سُود البراقع و تُفسّر الدّياجيَ

عن الزّهر اللوامع .

<٣> زيادةُ تبصرة

انظر إلىٰ حُور مَقصورات في الخيام مُبشّرات بالسّلام عن فرج الظّلام، تدرّ عن رقعة الرقيع و تشرن و تسجن في خضرة الخضراء و تقرن ، أجل فيها نظر العبرة، فإنّها عرائسُ الفطرة و عمّال الارزاق و عمّار الآفاق، تدبّر في هبوطها و صعودها و تفكّر في نحوسها و سعودها، و تأمّل في غروبها و طلوعها، و اتلُ قوله تعالى : ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَـٰتٍ لِّأُولِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ . و اعلم أنّ الله سخّرها بزمام التّقدير و أطلعها كالفواقع علىٰ هذا الغدير، و لا تظنّ أنّها تسيرُ يسيرها، و إنّما يحرّكها غيرُها، و لعمر الله ما يُشوّقها إلّا أمرُ الله ، هو الّذي أدار رحاها، و بسم الله مجريٰها و مُرسيٰها، و إلىٰ ربّك منتهاها .

<۴> تذكرةٌ

إنَّ اللهَ يُحبّهُم و يُحبّونهُ، و الكلّ مُشتاقونَ إليه، مُتحيّرونَ في جماله و بهائه وكماله، فيتواجدون و يستقرّون، و لكن كلّ بوسط يناسبه، و إلّا لما اختلف الجهات و الحركات، فتكثرت العقول و المجرّدات .

المجلى السّابعُ

<المقرّبون و الشّوق إلى العزّ و الكمال>

<فيه سبعة و أربعون عنواناً>

<١> هدايةٌ

الشّوقُ جناحٌ يطيرُ به إلىٰ جانب العزّ و القهر، سلاحٌ يمتنعُ به عن الذلّ، و كمالك لا يتمّ إلّا بتوفية قوّتى المحبّة و القهر حقّهما، فإنّ حملك الشّوق إلىٰ معدن النّور كلمت محبّتك و بلغت نصابها، فصارت عشقاً ، و إن صرفك القهرُ عن أعدائك الذّينَ يصدّونَ عن سبيل الله صادفت عزّاً، فأجتنبت عن المسافحات و احترز عن المراودات ، فإنّها عشقتك و اجتذبتك إلىٰ أنفسهنّ ، يرون تبديلَ عشقك شهوةً و عزّك غضباً .

<٢> تنبيهٌ

لا تكن من عواشق الهيولىٰ السالكين طريقة الجاهليّة الأولىٰ، فإن هممتَ بهاذقتَ عذابَ الجحيم و شربتَ شرابَ الحميم، و إن صرفتَ عنك السّوء و الفحشاء كنتَ من عباد الله المخلصينَ الّذينَ ليس للشيطان عليهم سلطانٌ، فنزلتَ في علّيين، يُطافُ عليك بكأس من معين ، بيضاء لذّةٍ للشاربينَ .

<٣> تبصرةٌ

إنّ السّابقينَ و السّابقات و الملائكة المقرّبينَ و المدبّرات قد اصطفّوا تحتَ قبّة الكبرياء مُطرقين من هيبة جلال الملكِ القهّار، مُغرَقين في بحار من الأنوار، حائرين في لذّة شهود الجمال، تائهين في محبّة سُبحات الكمال، يدعون الله لمَن في الأرض، و يستغفرونَ لمن ركبته الذّنوبُ و حبسته العيوبُ، يطلبون فكّ الأسير و جبرَ الكسير ، ينظرون نظر الرّحمة و الرّأفة لنفوس مُنيَت بالنّقص و الآفة، يُنادون للإيمان أن آمِنُوا بربّكم، فروحٌ و ريحانٌ و جنّةُ نعيم، و ذلك هو الفوزُ العظيمُ و المنُّ الجسيمُ، و إن كفروا فنزلٌ من حميم و تصلية جحيم .

و هناك [1] سلاسلُ و أغلالٌ و عذابٌ ، وحقّ لآخرين الثّوابُ والعقابُ . فضُرِبَ بينهُم بسُور له بابٌ باطنُهُ فيه الرّحمةُ وظاهُرهُ من قِبله العذابُ .

<۴>تنبيهٌ

هبّ نسيمُ الأنس وتحرّكت رياحُ القدس . ألا فتعرّض لنفحاتها ، لعلّك تتذكرُ معاهدَ ، ويتحرّك الشّوقُ إلىٰ مشاهدَ ، فيها ماتشتهيهِ الأنفسُ وتلذُّ الأعينُ . وفي وضعها تكلّ الألسنُ . بها الأحبابُ مؤتلفون والألّافُ مجتمعون ، يأمنون من عذاب البين ، وإصابة العين ؛ لاخوفٌ يُزعِجُهُم . ولاحُزنٌ يوجِعُهم ؛ في بهجةٍ لايُقاسُ بها بهجةٌ ولذّةٍ لايُنسبُ إليها لذّةٌ .

لايُبلغُ كنهُ مابهم من السّرور ، ولايوصفُ حالهُم بأوصاف دار الغرور ؛ فيدنو منهُم و يسمع صفيرهُم ، فيطيرُ طرباً فيلحقُ بهم و يبسطهُم في سلكهم قبل أن يعصفَ العواصفُ و يتحرّك الزّعازعُ والقواصفُ ، ويتهيّجَ أمواجُ بحار الظّلمات . فيتلالهُم ، ويرتفعَ منها سحائبُ سُودٌ ؛ فيتراكمُ و يتعاصفُ الرّعودُ و يختطفُ البروقُ ، فلاعينٌ يُبصرُ ولا أذنٌ يسمعُ ؛ فتحترقُ أجنحةُ الطائرات ، أو تقطرُ بالقطرات ، فيقع في ؟؟ريم القطران و يلتقمُها الحيتان .

فهل لك أن تركبَ سفينة النّجاة ، فتنجو من طوفان بحر الظّلمات ؛ فإنّ الحبل الّذى أد؟؟ عليه موصل ؟؟؟ من تسعون أخافُ أن يتخبطك مسيسهُم . فالحذَر ، الحذَر ، و مع ذلك فلايعصمك من الماء إذاكان الموجُ قد طمّ و التّبار قد ذخر . نعم نودى : لاعاصِمَ اليومَ من أمر الله إلّا مَن رَحِمَ ، فكنتَ من المغرقين .

هل أدلّك علىٰ تجارة تُنجيك من عذاب أليم . تشبّث بسفينة نوح يُخرجُك من الطوفان ؛ فإنّ العظيم إلى الرّضوان والنّعيم . وما ذلك في هذا الأوان إلّا اقتفاء آثار صاحب الزّمان، مُنجي الهالكين ، رافِع حُجُب السّالكين ، غياث الدّين ، منصور من السّماء على الأعداء بالرّعب والصّبا ، واصل إلىٰ قرب «دنىٰ فتدلّىٰ فكانَ قابَ

---

۱. كتابخانهٔ مجلس شوراى اسلامى، ش...

قوسين او أدنىٰ» ، نبيّنا محمّد ، خير الورىٰ و أكمل الأنبياء والأولياء . إذ فى ما شرعها من الشّرائع فوائدُ لاتُعدُّ ولاتُحصىٰ ؛ وفي التّشرّع بها النّجاةُ من ظلمات بحر الهيولىٰ بطرق عديدة شتّىٰ .

اتّبع خيرَ النّبيّين ولاتكن من الجاهلين المتفلسفين أو المتجاهلين ؛ فإنّ هذه العلومَ كلّها صفيرُ سفير يُنبّهك عن رقدة الغافلين ويُسيّرك مع السّائرين .

فإن سمعتَ و عصيتَ كانت عليك حُجّةً و وبالاً ، وإن وعيتَ وأطعتَ كانت نوراً لك وسلاحاً ؛ فإنّ قاطعَ الطريق إذا ظفر بالغريق فتك أوّلاً بصاحب السّلاح .

فإن كنتَ ذانجدة وشجاعة فاحم نفسَك إن لم تحم قومك ؛ إذ الأعزلُ الشّجاعُ أقربُ إلى النّجاة من الجبان ذي السّلاح . فلا؟لك من اتّخذ إلٰههُ هواه فأضلّه الله علىٰ علم ، فكم من عالم ضلّ و معه علمُه لاينفعُه ؛ واحترز عن دعوة ؟؟؟ و تذكّر حال بلعم باعور ، فى ما حكى الله ، تعالىٰ : «وَاتل عليهم نَبأ الّذي آتيناهُ آياتنا فانسلخ منها فاتبعهُ الشّيطان فكان مِنَ الغاوين» .

أما يُشوّقك إلى العروج إلىٰ سماوات البروج مُزيّنةً ، مالها من فروج . أما يُنجّيك إلى الخروج عن اوحرة يأجوح و مأجوج قولُ أساطين العلماء و الحكماء و؟لاطين الأنبياء و الأولياء في مُساعدتهم و مراقبتهم عند التّجريد و مواصلاتهم و عشقيّاتهم حالة التّفريد ،

أما يطيرُ بك السّيرُو يُحرّكك مِثلَ حركة الطير قولُ نبيّنا محمّد ـ صلعم ـ و وصفه الجِنّاتِ العُلىٰ و سدرة المنتهىٰ ، و ذكر الخلود و الشّهود والمقام المحمود في اليوم الموعود . فإن وجدت في نفسك حُبّه و في قلبك سرّه فتواجد وتحرّك عن ذكرك ، لعلّك ترىٰ ربّك الأعلىٰ ، وإلّا فاتّهم نفسك ، لعلّك مااستعددتَ ، وكلٌّ ميسّرٌ لما خُلِقَ له .

<۵> أنوارٌ شرقيّةٌ

التّعلّقاتُ العشقيّةُ والارتباطاتُ الحُبّيةُ توجبُ اتّصافَ المُحبّين بصفات متناسبة متحاكية للماهيّات الكشفيّة الاتّصاليّة بالمبادى العالية . وعند ذلك يظهرُ

لمّ استنارة الأجرام الكوكبيّة و حركات الأفلاك الدّوريّة الشّوقيّة و سرّ الصّلاة و كثير من التّكاليف الشّرعيّة .

<۶> كشفٌ

الأجرامُ الفلكيّة والكوكبيّة والعنصريّة غيرُ واقعة علیٰ جزاف ، وإنّما هي واقعة بسبب أوضاع هي أظلالٌ ليست عِللَها . فانظر إلیٰ نظام السّفليّات و العلويّات من الثّوابت أو السّيّارات . وتفطّن للنّسب الواقعة بين القواهر و المُدبّرات خاضعة إلیٰ ذروة العيان ، و ذق من كأس الوجدان ؛ فإنّ نطاق البيان لايطيقُ إحاطتها .

<۷> تبصرةٌ

اجتَنِب عن الاتّصاف بصفات الظّلمات و سمات العدمات ؛ واعلمَ أنّ النّورَ مغناطيسُ القُرب والأُنس ، والظّلمةَ مغناطيسُ البُعد و الوحشة ، وأنت خيالٌ بينهُما كإبرةٍ ضعيفة يجذبك نورُ الأنوار برحمته عليك . فطاوعهُ بالمحبّة و الشّوق ؛ فإنّ الأتمّ شوقاً أتمُّ انجذاباً وارتفاعاً إلی المصعد الأعلیٰ ، وتحرّك البدن وظلمات الهيولیٰ فمانعه بالقهر والعزّة ؛ فإنّ الأتمّ حميّةً وعزّاً أكملُ طهارةً و نزاهةً عن الرّجس الأدنیٰ . وإنّ بينك و بينَ ذلك تعاشعاً ، ماقطع الوصلة ـ نصرك اللهُ ـ و صِل ما أمر الله به أن يوصل ـ رحمك الله ـ و أوفِ بعهدك .

فإذا تخلّصت إلیٰ عالمك عالم النّور عن جنّات أعدائك جنّات الغرور ؛ فإنّ لك ثمّ أقاربَ و أحباباً و ولائج و أرحاماً ، تلّقوك بالتّرحيب و تحيّوك بالتّسليم . تحيّتهُم فيها سلامٌ ، لايَسمعونَ فيها لغواً ولاتأثيماً إلّا قِيلاً ، سلاماً ، سلاماً . فيلتذّون بورودك و تلتذُّ بوصولهم لذّةً لاتبلغُ كنهَها ولاتقدرُ وصفَها .

وهُناك شروقُ سُبُحات أنوار الحقّ الأوّل نور الأنوار ، وينعكسُ إشراقاتُ أشعّةُ وجهه . فلكم وجوهٌ يومئذ ناجزةٌ إلیٰ ربّها ناظرة ، وكان مالاعينٌ رأت و لاأذنٌ سمعت و لاخطر علیٰ قلبِ بشر .

واعلم أنّ في ذلك العالم عالم النّور والظّهور ، كلّماكان أعلیٰ في مراتب العِلل

فهو أولىٰ إلى المعلول الأدون، لشدّة ظهوره، إذ لابُعدَ هناك و لامسافةَ. بل القُربُ والبُعدُ بالخفاء و الظّهور، كما إذا ركّب سَطحُ المسّ من سواد و بياض، يُرى البياضُ أقربَ لنوريّته والسّوادُ أبعدَ لظُلمته.

فأقربُ الأشياء إليك وإلىٰ كلّ شيء هو الحقُّ الأوّلُ النّورُ المحضُ، فهو أولىٰ بالتّأثير في كلّ ذات و كمالها و إعطاء رونقها و جمالها. ولذلك يرى المُعاينون بعين العيان المُشاهدون ساحةَ فضاء عالم الأنوار بضياء شمس العرفان يستنِدونَ جميعَ الأكوان النّاظرين من كُوّة البرهان.

ثمّ الواقفُ الخبيرُ النّاقدُ البصيرُ يُبصِرُ من هذه التّبصرة سرّ الصّوم و كثير من التّكاليف الشّرعيّة. ولعلّك تبصرُ بذلك في ما بعدُ تنقيحاً و توضيحاً.

<٨> تبصرةٌ لنور شرقيّ

اتّصافُ العاشق بكمال المعشوق ظاهرٌ عند كلّ ذي فطرة صحيحة و طبيعة سليمة مستقيمة، بل كلّ من يستحقُّ الخطابَ يميّزُ الخطأ عن الصّواب. فإنّي شاهدتُ من نفسي حينَ معاينة نور جمال المعشوق الحقيقيّ، في شمائل المحبوب المجازيّ، تأثيراتٍ عظيمة وتغييرات بديعة عجيبة تابعة لأحوال المحبوب حاكية لماله من الصّفات مناسبة لما اتّصف بها من السّمات. فكثيراً مّا يُحاكينا في الأفراح و الأتراح و كثير من أعراض الأرواح و الأشباح.

<٩> ظلٌّ غربيٌّ

سائرُ الموجودات عند الظّاهريّة من الصوفيّة مواطنُ لحقيقة واحدة. ولهذا سُمّيت مظاهرها.

<١٠> نورٌ شرقيٌّ

الممكناتُ عندي و سائر المحققين مظاهرُ فحسبُ، فكلُّ ذرّة من ذرّات الكائنات مرآةٌ لمعاينة جمال نور الأنوار وكماله، بل كُوّةٌ يُشاهِدُ منها البصيرُ فضاء النّور و ضياءه و بهجته و بهاءه.

<١١> تنبية

الصّورُ المرئيّةُ في المرايا ليست فيها كما يراه العَوامُّ ، وإنّما هي آلةُ إبصارها و سائطُ الشّعور بها و إدراكها .

<١٢> تمثيلٌ شرقيٌّ

نسبةُ الحشويّة و الظّاهريّة من الصّوفيّة إلى الكمّل المحققين من أصحاب العيان نسبةُ العوامّ إلى المدقّقين من أرباب البرهان .

<١٣> كشفٌ وتوضيحٌ عرشيّ

محبّةُ كلّ ذرّة من ذرّات الكائنات فهي حقيقةً محبّةُ مبدأها و مُجاراة محبّتها ؛ إذ يحصلُ للمُحبّ في حال هيجان المحبّة و ثوران المودّة ميلٌ جِبلّيّ و حُبٌّ طبيعيّ و وجهٌ غريزيّ إلىٰ وجه الله العزيز ، مُسبّب الأسباب و مُسهّل الأُمور الصّعاب ؛ فإنّ العبدَ عند الوقوع إلىٰ الأهوال و صِعاب الأحوال يتوكّلُ على الله و يخلصُ بالكلّيّة ، وإن لم يتفطّن بذلك .

ولذلك ترىٰ أكثر العرفاء مُستدلّين علىٰ إثبات وجوده و تدبيره لأمور العبد بالحالة المُشاهدة عند الوقوع في الأُمور الهائلة ، كالحرق و الغرق . وفي الكلام الإلٰهيّ إشارةٌ إليه أيضاً .

<١٤> استشهادٌ بظلّ غربيّ علىٰ نور شرقيّ

قال المعلّمُ الأوّلُ : «الصّفات النّفسانيّة تنتقلُ إلى البدن»، ولذلك ينتفعُ صاحبُ اليرقان برؤية الماء ، ويتضرّرُ برؤية الأشياء الحُمر ؛ ويخرجُ من بيضة الحمامة الزّرقاء حمامةٌ ملوّنةٌ بألوان مختلفة إذا جلست في مكان منقوش ذي ألوان ويتشابهُ أطرافُ الدّجاجة بالدّيك عند اتّصافها بصفاتها النّفسانيّة .

<١٥> تبصرةٌ وتتميمٌ

التّعاشقُ بينَ الرّوح و البدن و تواصلهُما يوجبُ صعودَ هيئآت البدن إلى الرّوح و نزول هيئآت روحانيّة إلى البدن .

فكما أنّ الفكرَ في المعارف و الحقائق و سماعَ ذكر الحبيب و مُعانية نور جماله و مُشاهدة عظمته و بهائه يوجبُ قشعر البدن و وقوفَ أشعاره و اضطرابَ جوارحه؛ وسماعَ ذكر العدوّ و مكائده و الفكرَ في مُعاداته يُهيّجُ الفضبَ و يُحمّرُ اللّونَ؛كذلك خشوعُ الجوارح و خضوعُ البدن و تنظيفهُ و نزاهتهُ و تطهيرهُ، و ذكرُ الله ـ تعالىٰ ـ باللّسان و تحميدهُ و تمجيدهُ و الإعراضُ عن الأغراض الحِسيّة، والامتناعُ بكفّ الحواسّ و ذكر أحوال الملكوت و الجبروت و التّشبّه بها و بالمقرّبين من عباد الله المخلصين يُوجِبُ عروجَ القلب إلى الحضرة القُدسيّة و الإقبالَ على الحقّ و الاستفاضةَ عن عالم الأنوار و تلقّيَ المعارف والحقائق، والاستمداد من ملكوت السّماوات.

فوُضِعَت عبادةٌ شاملةٌ لهيئآت الخضوع و الخشوع و إتعاب الجوارح من شرائط التّكليف و التّنزيه و قصد القربة و صدق النّيّة و الأذكار المُذكّرة لنعم الله ـ تعالىٰ ـ وثنائه بما يليقُ بحضرته و غاية التّذلّل لعظمته و الإذعان لأمره و حكمه.

<۱۶> نورٌ شرقيٌّ

لكلّ علّة مع معلولِها ولكلّ لازم مع ملزومهِ مناسبةٌ شديدةٌ، فيكونُ حصولُ مايناسبُ أحدهما مُعدّاً لحصول مايناسبُ الآخر، فيكونُ قراءةُ الكلام النّازل من الوحي الإلٰهيّ و حسنُ الاتّصال بعالم النّور مُعِدّاً لهيئآت مناسبة اتّصاليّة نوريّة مطلوبة في «الصّلاة» الّتي هي معراجُ المؤمن. و قد دريتَ أنّ العلاقةَ الشّوقيّةَ في الأجرام العلويّة أوجبُ لطواف الأطراف. ظلّه درُّ طالعه بالكيفيّة طائفة.

<۱۷> تأييدٌ واستشهادٌ

تكرارُ الأفعال و الحركات يوجبُ حدوثَ الملكات.

<۱۸> نور شرقيّ

مساماتُ وجوه الأطراف تنسدُّ بالأوساخ. وذلك يوجبُ صعود بخارات رديّةٍ إلى الدّماغ، مُشوّشةٍ للأرواح النّفسانيّة، مانعةٍ من التّوجه التّامّ إلى الملأ الرّوحانيّة،

صارفةٍ عنانَ النّفس بحكم المناسبة إلى الأمور الجسمانيّة .

و أيضاً ، الماء يرطبُ و في الوجه و الأطراف أعصابٌ كثيرة ثابتة من الدّماغ . ويكثِفُ طرف عصب بكيفيّة بعد تكثّف أصله بها . ولذلك يُرىٰ يذهبن للأطراف برطب الدّماغ . وعند ذلك يظهر سرّ الوضوء .

<۱۹> ظل غربيّ

قد ثبت في علم الطبّ أنّ الحركة الجماعيّة أولدت عرقاً رديّاً خارجاً من أعماق البدن إلىٰ ظاهره . والماءُ يُزيلهُ ، فغُسلهُ واجبٌ . وذلك غسلٌ

<۲۰> تلويحٌ لوحيٌّ

الدّعاءُ من أسبابِ الكون ، فالظّلمُ قبيحٌ ، والعدلُ حسنٌ ، والزّكاةُ واجبةٌ ، لاستيجابها الدّعاء النّافع

<۲۱> تنبيهٌ

في الزّكاة إشارةٌ إلىٰ صرف النّفس عن التّوجّه إلى الأمور الدّنيّة البدنيّة و فيها تحصيلٌ لملكة التّرك . وعدمُ الأمر بتركها بالكليّة لصلاح العالم و انتظامه ؛ فإنّ تركَ الخير الكثير لأجل الشرّ القليل شرّ كثيرٌ ، مع إشكال دفع الشرّ به بوجه آخر .

<۲۲> تنبيهٌ

المالُ عند الفقراء أعزُّ . فيكونُ توجّهُ نفوسهم إليه أشدّ ، وجب أن يكونَ الإيثارُ منه أوفر . لذلك أوجب في الأقوات العُشرَ ، و في النّقود رُبعَهُ .

<۲۳> تبصرةٌ

النّفسُ إذا أدركت في قوّة لذّةً توجّهت إليها و أكبّت عليها . فاللذّاتُ الحِسّيةُ تمنعُها عن اللذّات العقليّة . و من ذلك يظهرُ سرُّ الصّوم و المنع عن كثير من المُحرّمات . كالشّراب . المُقوّي للقوى الحيوانيّة ، المُضعِف للقوى النّفسانيّة .

<٢۴> تذكرةٌ

قد عرفت أنّ تأثير الأجسام بمشاركة الوضع و إن اختلف أحوال السّفليّات لاختلاف أوضاع العلويّات ، فللأجرام العلويّة في أقطار الأرض بحسب اختلاف نسبها إليها تأثيراتٌ مختلفةٌ .

<٢۵> تنبيهٌ

للتوجّه إلى الجهات المختلفة آثارٌ وخواصُّ متعيّنةٌ ؛ فإنّ التّوجّهَ إلىٰ سُهيلٍ والقطب الجنوبيّ يُسهّلُ الولادةَ ، ولذلك يتوجّهُ إليها أكثرُ الحيوانات حالَ ولادتها ؛ والتّوجّهُ إلى القطب الشّماليّ ناظراً إلىٰ بناتِ النّعش يُصحّحُ العينَ و يُقوّيها

و من هاتين المقدّمتين يظهرُ سرُّ التّوجّه إلى الكعبة و فائدةُ بعض أعمال الحجّ .

ثمّ إنّ الأُمَمَ مختلفةٌ ، ولكلّ منها مع موضع من المواضع مناسبةٌ خاصّةٌ . وأيضاً تختلفُ خواصّ المواضع في الأزمنة بحسب استيلاء الكواكب المختلفة عليها . فلا إشكال في تحويل القبلة .

<٢۶> إشراقٌ

اليمينُ واسطة الفيض . وكلتا يدي الرّحمان يمينٌ . والحجرُ الأسودُ يمينُ الله . ويداهُ العقلُ والنّفسُ ، وهما مبسوطتان . قال الله تعالىٰ : «خمّرتُ طينةَ آدمَ بيدي أربعينَ صباحاً» . وفيه سرّ عظيمٌ .

<٢٧> إشراقاتٌ شمسيّةٌ

الغرضُ من التّكليفات الشّرعيّة تحصيلُ المحبّة الإراديّة وانتهاؤها إلى العلاقة العشقيّة الموجبة للاتّصاف بالصّفات الإلٰهيّة حتّىٰ لايرىٰ إلّا نورَهُ وأن لحظه نفسه فبالنّور للنّور إلى النّور . وبذلك يظهرُ تفسيرُ كثير من الأحاديث القدسيّة .

منها قوله : «لايزالُ عبدي يتقربُ إليّ بالنوافل حتّىٰ اُحبّه ، وإذا أحببته كنتُ سمعه الذي به يسمعُ و بصره الذي به يبصرُ» ، الحديث .

ومنها قولهُ : «مَن طلبنى فقد وجدني ، ومَن وجدني فقد عرفنى ، ومَن عرفنى فقد أحبّنى ، ومَن أحبّنى فأنا قتلتُه ، ومَن قتلتُه فعليّ ديتُهُ . ومَن عليّ ديتُهُ فأنا ديتُهُ» .

والحقّ : أنّ المنصور في دعواه صادقٌ كاذبٌ ، مُخطِىءٌ مُصبيبٌ .

<٢٨> نورٌ قمريٌّ

المُحاكاةُ لذيذةٌ .

<٢٩> تنبيهٌ

كمالُ العشق يظهرُ عنه تكاثرُ أسبابِ المحبّة، كما في الصّور الجميلة و الأصواتِ الحسنةِ . وجهٌ آخَرُ ، قد أشرنا إليه رمزاً ، فتفطّن و إن لطف . ويمكنُ أن يكونَ مُحاكاةُ الصّور للحالات النّفسانيّة موجبةً للالتذاذ بها و لم كراهةِ غير الموزون منها عدمُ مُناسبةِ اللّاحق للسّابق المفقود المطلوب المرغوب و بُعده عنه ، فافهم . فقد حان أن نشرعَ الآنَ في بيان لميّة اختلاف الإنسان و سائر الموجودات .

<٣٠> مصباحٌ يستفيدُ من نور شرقيّ

الهيكلُ الجميلُ الإنسيُّ مظهرٌ لأنوار السّعود الكريمة المشرقة المنيرة الفلكيّة مُحاكية للنّسب الشّرفيّة العقليّة . وكلّ من ذلك يوجبُ البهجةَ واللذّةَ والسّرورَ . فكيف اجتماعُها .

<٣١> قبسٌ مقتبسٌ من نور شرقيّ

في مبدأ تكوّن الكائنات العنصريّة يفيضُ عليها من الأجرام الفلكيّة ، بحسب أوضاعها و مراتب ضعفها و قوّتها ، قُوىً و أنوارٌ هي مبادٍ لآثار لايُقاصُ إلىٰ مايشاهده، من الكواكب ما يكونُ قربُه ملائماً . ومنه ما يكون بُعدهُ كذلك . ومنه ما يكون توسيطهُ . والبُعد الواحد قد يكون ملائماً بعدَ بُعد آخر .

وبذلك يظهرُ لميّة اختلاف ثبوت الكواكب السيّارة و اختلاف أحكامها عند وقوعها في بُيوت الطّالع . يعنى إن صحّ وتحقّق عددٌ يصحّ منه كسورُ أدوار السّبعة

السّيّارة و الثّابتات . ففي هذه المدّة عادت الأوضاعُ بعينها ، وإلّا فلا ، إن كانت الأدوارُ الفلكيّةُ متشاركةً في عدّة و مدّة وجب عددُ الأوضاع بعينها . وإليه ذهب حكماء فارس و الإشراقيّون وعظماء المشّائين ، وإلّا لم يجب .

<٣٢> إشراقٌ

اكتحال بصر البصيرة من دور رغام أقدام الأنبياء ، وتقوية سوادها بسواد الزّبر الموروثة عن أعاظم الحكماء يُرىٰ في المرايا الصّقيلة العلويّة صورُ الحوادث البعيدة السّفليّة .

<٣٣> نور قمريّ

القراناتُ العظيمة والصّفيرة والوسيطة ، والأدوارُ العظيمة والصّغيرة والوسيطة الكوكبيّة وسائر الأوضاع الفلكيّة و طوالع مباديها و تيسيراتها و انتفائها و سهامها يُوجِبُ اختلافَ الكائنات الفاسدات . لكنّ الأمور العظيمة تظهرُ في أوائل انتقال الأدوار و أزمنة انتفاء انتهاء القرانات و تيسيره إلىٰ طالعه أو عكس ذلك أو حدوث وضع يناسبه .

ومن العجائب ظهورُ ذوات الأذناب في تلك الأوقات في رحلة أو تار القرانات السّابقة أو طوالعه . وتحتَ هذا سرٌّ . ومنشأ هذا أوّل دور زحل على الرّأي الأصحّ . وطالعه حدود المشتري من أواسط الميزان و الزّهرة في الدّرجة الأولىٰ من الحوت و زحل في الخمسة الأخيرة من برج الجدي . وهو السّنة السّابقة من القِران الخامس الواقع في العقرب بطالع الثّور . ولعلّ ذلك يوجبُ تغيّرات عظيمة و أوضاعاً غريبةً .

<٣٤> إشارةٌ

أسباب الحادث لاتنحصرُ في الأوضاع السّماويّة ، بل لإرادتها و للأسباب الأرضيّة في ذلك مدخلٌ عظيمٌ . ولذلك يُرىٰ فساد الأشخاص الظّالمة والمُدُن الفاسدة وذوي طوالع قويّة .

<۳۵> نور قمريٌّ

والنّفس الإنسانيّةُ من جواهر الملكوت . فلا يبعدُ اتّصافُها بصفاتها وتأثيرُها في الهيولىٰ .

<۳۶> تنبيهٌ

في الطبيعةِ عجائبُ ؛ ولِلقوى الفاعلة و المنفعلة اجتماعاتٌ علىٰ غرائبَ . وعند التأمّل فى ما ذكرنا من المقدّمات يظهرُ سرّ السّحر و الطّلسمات و النّيرنجات .

<۳۷> إشراقٌ شمسيٌّ

المرايا المُحرِقةُ نِعم العونُ علىٰ معرفة كيفيّة ظهور المعجزات و خوارق العادات الواردة في الولايات و النّبوّات .

<۳۸> تنبيهٌ

الأضواء المنعكسةُ من المرايا تختلفُ بحسبِ اختلافها كيفيّةً و كميّةً ، كما يدلُّ عليه التّجربةُ و بَرهَنَ عليه صِناعةُ المناظرة .

<۳۹> تذكرةٌ

هبوطُ الهيئآت النّفسانيّة إلى البدن و قواه يوجبُ نزولَ الوحي عند اتّصال النّفس بالمبادي العالية .

<۴۰> نورٌ شرقيٌّ في ظلّ غربيّ

العالمُ المثاليّ البرزخيّ يُحقّقُ بعثَ الأجساد و جميعَ مواعيد النّبوّة ، و يُظهِرُ الغرائب الصّادرةَ عن السّحرة و الكهنة . والمذهبُ المنصورُ أنّه غيرُ معلّق في مكان

<۴۱> إشراقاتٌ شمسيّةٌ في أنوار قمريّة

المجرّداتُ أنوارٌ مختلفةٌ في الشّدّة والضّعف ، والجسمانيّات ظلماتٌ ، و من اختلاطهما و امتزاجهما تكوّنَ العالمُ ؛ فإنّ لكلّ من الأنواع نوراً مجرّداً عقلاً قاهراً .

و قد يكونُ لها أظلالٌ نوريّةٌ ضعيفةٌ مدبّرة . والكلُّ لمعاتُ النّور الأوّل . و لذلك حكم الفارسيّون و البابليّون الأقدمون من [أنّ] مبدأ العالم اثنان ، نورٌ و ظلمة .

و من طعن فيهم ماعرف مقصدهم ، حيثُ حمل المبدأ على الفاعل . وما سوى الواجب ـ تعالىٰ ـ من نوره أو ظلّ خياليّ ؛ فإنّهُ كلُّ الوجود ، و كلّهُ الوجودُ ، و هو علىٰ كلّ شيء شهيدٌ و بكلّ شيء مُحيطٌ . والماهيّاتُ الممكناتُ هي الظّلالُ المدودةُ . قال الله تعالىٰ : «ألم ترَ إلىٰ ربّك كيف مدّ الظلّ ولوشاء لجعله ساكناً. ثمّ جعلنا الشّمسَ عليه دليلاً. ثمّ قبضناهُ قبضاً يسيراً» .

وفيه سرّ عظيمٌ قد أشرنا إليه في فائدة التّكليف .

واعلم أنّ صورَ الكائنات أزلاً و أبداً منقوشة في البرازخ العلويّة . ومظهرُ علم الباري هو العالمُ النّوريّ والعالم العلويّ الفلكيّ والثّابتات الباقيات في العالم السّفليّ العنصريّ ، وذلك مع المتغيّرات و المثاليّات مظهرُ بصره أو سمعه .

والمذهبُ المنصورُ أنّ قوّة التّأثير غيرُ لازمة لماهيّة بعض النّفوس ، بل الحقّ أنّ القدرةَ تحصل له بالنّور الشّارق عليه . ألم تر أنّ الحديدَ الحامية إذا أثّرت فيه النّار يتشبّه بالنّار ويستضيء ويُحرقُ . فالنّفس النّوريّة إذا اتّصلت بالنّور وتلبّست لباسَ الشّروق أثّرت وفعلت ، فتحدث الصّورُ بحسب تصوّراتها . فالنّور بتأييد النّور يُحدِثُ الظّلمةَ والنّورَ .

ثمّ إن كان الغالبُ علىٰ جوهرها الأمرُ القهريّ يقعُ الشّروقُ علىٰ وجهٍ يغلبُ فيه حصّةُ الأُمور القهريّة من السّماويّات و أربابُ طلسماتها ، فيصيرُ صاحبهُ شُجاعاً قهّاراً علّاماً ؛ وإن كان الشّروقُ من أنوار روحانيّة بحسبِ استعداد حُبّيّ عشقيّ يغلبُ فيه حصّةُ الأُمورُ اللّطيفة العشقيّة ، فيصيرُ صاحبُه معشوقاً مُعظماً . والأوّلُ من الشّمس والنّحوسة والسّعودة ، والثاني من القمر المسعود والسّعود .

<۴۲> قبسٌ من نور شرقيّ

الأمورُ المشاهدةُ في النّشأة الآخرة مناسبةٌ لجوهر النّفس مُحاكيةٌ لمدركاتها في

هذه النّشأة ، والنّفوسُ الشّديدةُ الانكباب على الظلمات تناسبُ الظّلمات والصّور القبيحة المُظلمة تُحاكى مُدركاتها . والمُعرضُ عنها يناسبُ الأنوار ويلتذُّ بُمشاهدتها و مُعاينتها و يفرحُ بمقارنة الظّلمات و مُغايبتها .

<۴۳> مسألةٌ وحوالةٌ

يمكنُ أن يكونَ مظهرُ علم الباري ـ تعالى ـ بجميع الأشياء نفسَ ذاته ، علىٰ ما فصّلناه في شرحنا لهياكل النّور .

<۴۴> لمعةٌ من نور شرقيّ

لايبعدُ وجودٌ عالم مثاليّ شبحيّ فى مابينَ العنصريّات والفلكيّات أو ماوراء الكلّ ، مشتملاً علىٰ جميع ما في العالم الحسّيّ مع زوائد كلّها و علىٰ أفلاك سريعة الحركات و أراضى دائمة السّكنات ، علىٰ ماشرح في شرح هياكل النور.

<۴۵> ظلٌّ غربيٌّ

التعقّلُ حدوثُ صورة عقليّة في ذات مُتمّمٌ عليها و مُفيضُها و منوّرُ النّفس بها يجبُ أن يكونَ مجرّدُ النّسبة إلى النّفس كنسبة الشّمس إلى البصر . وذلك هو العقل الفعّال في عالمنا هذا .

<۴۶> تبصرةٌ

بردُ اليقين الحاصلة من الأنوار يُطفىء النّيرانَ المشتعلةَ من الظّلمات والجَهالات . أمّا ترىٰ كيف أطفىٰ بردُ نفس إبراهيمَ ﷺ نارَ نمرودَ .

<۴۷> تشبيهٌ

النّارُ تخرقُ الغشَّ من الذّهب و الفضّة وتُخرِجُها من الخلاص صحيح العيار . والنّاسُ مَعادنُ كمعادن الذّهب والفضّة . ونفوسُها فى نار المحبّة والرّياضة كالذّهب والفضّة في الخلاص، فلاتخف من النّار إن وجدت في قلبك ضجّةً .

المجلى الثّامنُ

<الرّياضة والفوائد المترتبة على النبوّة والرّسالة بحسب إدراكنا>

ولنُكمِل الرّسالة بما فيه إشارةٌ إلىٰ حقيقة الرّياضة و مالها من البداية والنّهاية و قليل من الفوائد المترتّبة على النبوّة والرّسالة بحسب مدركنا هذا .

<۱> اشراقٌ

استحكامُ العلائق مع النّفوس المستنيرة بالأنوار الإلٰهيّة يوجبُ انعكاسَ تلك الأنوار إلى النّفوس الّتي استحكمت العلاقة معهم ، كالمرايا المتقابلة بمرآة يحاذىٰ بها وجهُ الشّمس . وبذلك يظهرُ حقيقةُ الشّفاعة . وحاصلهُ : أنّ نفسَ النّبيّ بمنزلة مرآة تستنيرُ من نيّر، ويُنوّرُ مقابله ، بل بمنزلة القمر في اللّيلة القمراء، فإنّه ينوّرُ العالم بنور الشّمس.

وبذلك يظهرُ أيضاً فائدة الصّلاة على النّبيّ ﷺ والتّوجّه إليه و إلىٰ الإمام ، إذ كثرةُ التّوجّه توجبُ شدّة استحكام العلاقة . وذلك بمنزلة توسيط المرآة في استفادة نور الشّمس . ثمّ لا يخفىٰ على البصير أنّه إذا قوبل بمرآة واحدة مرايا متقابلة لوجه الشّمس تضاعف فيها أنوار كثيرة و أضواء شديدة .

<۲> تنبيهٌ

إنّ الّذي نصبوا أنفسَهُم في منزلة الإرشاد والتّعليم، جلّهُم بل كلّهُم، ذهبوا إلىٰ عزل القوى الإدراكية عن أعمالها و سدّ أبواب المشاعر الشّاعرة جملةً، و منعوا الصّور الادراكيّة الّتي هي الأمثلةُ للأعيان الخارجة عن ورودها إلىٰ تلك المشاعر و صورها عنها ، زعماً منهم أنّ هذا العمل من الطّالب هو الّذي يُعِدُّهُ للتّوجّه نحو المبدأ الفيّاض . وهذا عند انتهاجِ الطّريقة المثلىٰ صوبَ المقصد الأقصىٰ .

وذلك كالمتصوّفة الرّسميّة وأهل الحكمة النّظريّة ؛ فإنّهم منعوا ، لدى الاستفاضة ، سائر القوىٰ عمّا خُلِقَ له مِن الأعمال ، سيّما الوهم منها والخيال .

ولا يخفىٰ على المستبصر بأساليب أولى الدّراية من الوراثة النّبويّة أنّ معاونى القوّتين هما الجناحان للعقل الإنسانيّ عند عروجه إلىٰ معارج أُولي النّهاية و طيرانه إلىٰ

فضاء الذوق والولاية . فهما المُعِدّان للسّالك مَسالكَ الكمال الإنسانيّ . وكذلك مايجري مجراهما من الحواسّ الظّاهرة والباطنة .

فالّذي عزل عن الحواسّ عمّا قدّرت له بمعزل عن السّير الكماليّ الختميّ عند المبصرين الّذين لهمُ سهمٌ من الوراثة النّبوي ، فانّه قد كثر للعقل الإنسانيّ جناحان بقوادمها و موافقها ، فإنّها هي الّتى بها يعرج العقل عن محصورات النّظر ... إلىٰ صحارى القلب وفتح ... وبهذه الجمعية الّتى قدّرت لآدم نراه قد استأهل منزلة الخلاقة الّتى كانت له على البريّة وأفحم الملأ الأعلىٰ عند معارضتهم له و سعايتهم فيه .كما أفصح عنه قوله تعالىٰ : «وإذ قال ربّك للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفة» . الآية .

والّذي يُقضىٰ منه العُجبُ حالُ المتصوّفة الّذي حصروا طريقتهُم في متابعةِ سيّدنا محمّدﷺ وشارع كتابه و سُننه . وليس في السُّنن المأثورة من هذا «العزل» الّذي هم عليه عينٌ و لاأثرٌ ، ولا في الكتاب له ذكرٌ ولاخبرٌ .

بل الّذي سمت به الآياتُ والآثارُ و تواترت به الأخبارُ هوالأمرُ بالنّظر والإبصار، وتوجّه سهام الوعيد والتّعبير علىٰ من لم يستعمل هذهِ القُوىٰ . ﴿وَلَقَد ذَرَأنا لِجهنّمَ كثيراً مِن الجِنّ وَالإنس. لهُم قلوبٌ لايفقهونَ بها ولهُم أعينٌ لايبصرون بها ولهُم آذانٌ لايسمعون بها. أُولئك كالأنعام، بل هُم أضلّ﴾ . نعم صرفها فى ما لم تخلق لإجله ضلالٌ و إضلالٌ و ظلمٌ و وبالٌ .

<۳> تذكرةٌ

أما سمعتَ في العلوم الرّسميّة والحقيقيّة أنّ عزل القوى الحِسيّة بالموت مُحالٌ ، فعزلُها من تحصيل مالها من الكمال يوجبُ ركونَها إلىٰ صورة مُشوّشة يخبر عنها الخيال . وذلك هو الظّلم والوبال والضّلال والإضلال . وقد يُسمّىٰ ذلك معاينةً ومكاشفةً .

<۴> تنبيةٌ وارشادٌ

فاستَطِلع من أنوار العرفان شموساً بازعة أنوارُها، نافية لذلك الدّياجي وآثارها؛ ولاتُصغِ إلىٰ ذوي الخيالات وطنين الأوهام ؛ فإنّك قد تضاعف عليك الظّلام واستولىٰ عليك الغفلة والمنام . فاستقم يا قائم و انتبه يا نائم ودع أضغاث الأحلام . فلاتركن إلى

الّذين ظلموا، من أرباب الجلال و سلاطين شياطين الوهم والخيال.

واعلم أنّ مراتب الرّجال ليس بتقادم الأزمنة والآجال. وإنّي عرفتُ في هذا الزّمان من سبق كثيراً من الأوائل. وماالسّبقُ بالأزمنة كالسّبق بالفضائل. له سبقُ الثّمار أزهارُها ومراتبُ الأعداد أصغارُها ... الأوّل غيرُ كاذب، ولا في سوى القدح الآخر لذّةُ شادب.

<۵> هدايةٌ

الأرصادُ الروحانيّة نعم العونُ علىٰ مشاهدة العقول النّورانيّة.

<۶> تبصرةٌ

لايبصر المقيّدُ في مضيق الشّركة إلّا بشِركةٍ من مفاتحها، ولايشعرُ إلّا بما يبدو من فُرَجِها ومَداركها. وإنّما الجذبُ إلىٰ ضيائها ويميلُ إلىٰ فضائها. فالنّفسُ إلى القوى الحِسيّة شديدةُ الانكباب كثيرةُ التّوجّه إلىٰ ذلك الجناب.

فعليك ـ بعدَ إبرام العزيمة و إحكام العزيمة في إرادة الرّياضة ـ بالتّوبة والإنابة. فأقبِل بالكليّة على الله تعالىٰ، وأعرِض عمّا سوى الله، ولا تُشرك بعبادة ربّك أحداً.

واعلم أنّ النّزوعَ إلىٰ كلّ شيء خضوعٌ له و عبادةٌ، بل إنّ ذلك شركٌ خفيٌّ. قال النّبيُّ ﷺ: «الشّركُ في أُمّتي أخفىٰ مِن دبيبِ النّملة السّوداء في اللّيلة الظّلماء على الصّخرة الصّماء».

<۷> تنبيهٌ

العبادةُ تطويعُ النّفس الأمّارة للنّفس المطمئنّة. وإنّما يحصلُ باشتغال الحواسّ بما يناسبُ القدسيّات العلويّات منصرفةً عمّا يلائمُ الحسّيّات السّفليّات، و يمنعُها عن اشتغالها بما تنزعُ إليها طبائعُها.

<۸> إشارةٌ

تلطيفُ السّرّ رفعُ العبارات الطّبيعيّة عن وجه القلب ببدوّ القوى البدنيّة النّفسانيّة ومُحاكاتها للسّرّ في حركاتها لتقبل إشراقات أشعّة الأنوار القدسيّة.

<٩> تبصرةٌ

في الرّياضةِ أغراضٌ ثلاثةٌ : مُتابعةُ القوى الحِسيّة [القوى] العقليّةَ و تنحية الأدناس الطّبيعيّة و تلطيف السّرّ .

ويحصلُ الأوّلُ بالعبادة ،كما أمر به الشّريعةُ الحقّةُ الشّريفة . والثّاني [يحصلُ] بالزّهد الحقيقيّ الّذي هو تعديل الطّعام و المنام وقلّة الكلام والاعتزال عن الأنام ، ونهايةُ الزّهد التّقوىٰ ، فإنّه خيرُ الزّاد في سفر المعاد . والثالثُ [يحصلُ] بالفكر اللّطيف و العشق العفيف .

وقد يعينُ عليها الألحانُ المناسبةُ للأُمور القدسيّة والمعانى الدّاعية إلى الحقائق العلويّة، النّازعة إلى الدّقائق العقليّة، النّافرة عن الطّباع الفاسدة السّفليّة والخيالات الباطلة الوهميّة ، وصحبة الأزكياء والعرفاء ، واستماع حديثهم في الطّريقة ، سيّما ما يرقّ بالنّغمة الرخيمة والعبارة الفصيحة و الأصوات الحسنة اللّطيفة مع الإشارات الدّقيقة الرّشيقة البليغة ، خصوصاً عمّن يُشاهَدُ في مرآة شمائله جمالُ المعشوق الحقّ الواحد المطلق . وينتهي ذلك إلى الفناء في التّوحيد الذّاتيّ و ظهور سلطان العشق الحقيقيّ و البقاء السّرمديّ والبقاء الأبديّ .

<١٠> إشراقٌ شمسيٌّ

غلّق علىٰ نفسك أبوابَ المدركات الحسّيّة ، وامحُ بإشراق نور الله ظلماتِ الخواطر الوهميّة ، ولاتشتغل بغير ربّك ، واحسِب نفسَك كأنّها فارقت الأقطار والجهات و الأزمان والأوقات ، مجرّدةً مباينةً مغلقة مفارقةً زماناً طويلاً و دهراً كثيراً ، ليأتيك برقٌ ثمّ خرقٌ و طمسٌ ، فتنوّر بنور النّور ، فيحجبُ ذلك النّورُ لشدّة نوريّته نورَك . فلاترىٰ إلّا النّورَ ، وترىٰ نورَك من النّور على النّور في النّور المنوّر بالنّور . واللهُ أعلمُ بسرائر الأُمور .

فهذا ضربٌ من التّوحيد أقربُ إلى التّحقيق ممّا اشتهر بينَ الصّوفيّة الرّياضيّة ، وأوغلُ في التّدقيق ممّا ذهب إليه الحكماء الإلٰهيّة ؛ اهتديتُ إليه باللّمعات النّوريّة ، وسمّيتُه بالوحدة المنصوريّة .

<۱۱> تذكرةٌ

قد بيّنا في بعض التّعليقات امتناعَ لاتناهى المجتمعات مطلقاً.

<۱۲> نورٌ شرقيٌّ

يمكنُ أن يتعلّقَ النّفسُ المفارقةُ ببدنها مرّةً أُخرىٰ. بل بعضُ الدّلائل ربما يُوجِبُ ذلك... وبذلك يتحقّقُ المعادُ الجسمانيّ الموعودُ في الكلام الإلٰهيّ بلا تأويل.

<۱۳> واقعةٌ وحكايةٌ

إنّى كنتُ في هور قليا مع الخُلّان و الرّفقاء عند الإخوان والآباء في فضاء فسيح، شديدةِ البهاء، كثيرةِ الضّياء. أبدع اللهُ ـ تعالىٰ ـ فيها بالعلم القديم صورَ الكائنات في أحسن تقويم. فيها رياحينُ خُضرٌ؛ كان بينَها نسيجٌ وديباجٌ من الزّهر والنّور والزّعفران، في أواسطها أنهارٌ تجري علىٰ حصاة كأنّها الدّرُّ والياقوتُ والمرجانُ؛ فيها بيوتٌ عاليةٌ وقصورٌ شاهقةٌ، فيها سُرُرٌ مرفوعةٌ وأكوابٌ موضوعة و نمارقُ مصفوفةٌ و رزابيُّ مثبوثة. يطوفُ عليها ولدانٌ وغلمانٌ وحورٌ حِسانٌ، لم يطمثُهنّ إنسٌ قبلهُم و لاجانٌّ.

وقد اشتغل أبى بالفلاحة و تزيين الأصقاع بالعمارة والزّراعة. فبعثني يوماً لتعمير قطر. فإذاً أنا بحمام كدر وغار مُظلِم منقوش بصور العالمين، استقرّ فيه أبناءُ الجنّ والشّياطين، العالمين بعلم السّيماء، القادرين علىٰ إراءة الأشياء علىٰ ما هي عليها.

فشاهدتُ عجائبَ عديدةً وغرائبَ كثيرةً.

منها: أنّ رجلاً في مزبلة عليها سماءٌ طريّةٌ و جيفٌ مرضيّة، يعنى: في جلود غير مدبوغة بألحان غير موزونة، يصفُ بها حُسنَ امرأة قبيحة مُنتِنة ركيكة، ويتجرّعُ دُرديّ خلّ نتناً، و يرقصُ فرحاً، ويشمُّ كرثاً، ويسألُ اللهَ علىٰ أن يُثبِتهُ علىٰ هذه الحالة أبداً.

ومنها: أنّ رجلاً عاجزاً، به أو جاعٌ و جراحاتٌ لاتُحصىٰ كثرةً. في خربة من المغارة المنقوشة، يدّعي أنّ تلك الخربة عماراتٌ، وتلك الجراحات راحاتٌ، و تلك النّقوش والصّور خدمُه وحشمُه، وهو مَلِكٌ عظيمٌ فعّالٌ قديرٌ، يُعاقِبُ من يشاء و يقتل مايشاء، بيده ملكوتُ الأشياء، عندهُ حقائقُ الأنباء.

فابتليتُ بهم طويلاً وخرجتُ عن الفطرة كثيراً . فنسيتُ ماكنتُ عليه . فحسبتُ النّار نوراً والظّلّ حروراً والقبيح حَسَناً والحسن قبيحاً والموتَ حياةً والحياةَ موتاً ، والسّرابَ شراباً والذّلّةَ لذّةً والجراحةَ راحةً .

حتىٰ تنبهتُ أنّ آبائي الكرام و أجدادي العظام زيّنوا حاناتِ تلك الظّلام من أنوارهم بمصابيح وجعلوها رجوماً لتلك الشّياطين و من انتهىٰ إليهم من المردة الملاعين و وضعوا فيها سلاليمَ بها يَسهلُ العروجُ و مفاتيحَ ينفتحُ بها أبوابُ الخروج ، و أرسلوا من جعل شعاعِهُم خيوطاً ليُعرجَ بها من مهاوي الزّور إلىٰ معارج النّور ، و أموراً بها يُتذكّرُ معاهدُ القدس ومجالسُ الأُنس .

فتذكّرتُ و علمتُ أنّ أولئك الشّياطينَ عارفونَ بالسّيمياء، قادرون علىٰ تغيّر حقائق الأشياء في المرأى ، فيُحيلون النّورَ ظلاماً و الصحّةَ سقاماً ، فينسونَ النّفسَ و معاهدَها ويُحيلون بينَ المرأ و مطالبها . فأعرضتُ عنهُم وتعرّضتُ إلى الاهتداء بالمحجّة البيضاء الّتي شرعها كرامُ الأنام، فاقتفيتُ بآثارهم و تشبّثتُ بأنوارهم . وتعجّبتُ من تبدّل الحالات وتغيّر الخيالات .

<۱۴> خلاصة كلام وتوضيح مرام

إنّ قطرةً انفصلت من البحر أو شعلةً من النّار ، فعادت واتّصلت وطارت بأجنحة الكروبيّين .

<۱۵> تنبيهٌ

لاتتعجّبوا من حالى و أنصِفوا ، هل تقدرون علىٰ تذكّر ماجرىٰ عليكم في بطون أُمّهاتكم مع كمال خلقكم وصحّة قواكم ، بل علىٰ تفصيل مامضىٰ من أيّام الصّبىٰ مع كمال العقل والقوىٰ . فكيف في نفس ضعيف ، ابتلي بما ابتلي .

<۱۶> تذكرةٌ

أليس كثيرٌ من أرباب النُّهىٰ وأصحاب الدّهىٰ صحّت عليه ذكرُ مامضىٰ في المنام و إن لم يمض عليه أيّامٌ .

<۱۷> تبصرةٌ

سبقتك اللّيالي والأيّامُ، وأجِدك على شرف الحمام وطَرف الثّمام. عُدّ نفسك في الدّنيا ضعيفاً، ولاتكن مُنتظراً شتاءً ولاصيفاً؛ فإنّها ليست إلّا أيّاماً مُكرّرةً وأحوالاً مكرّرةً. لاتَزِنْ نفسَك بموازين الأيام، وقس عُمرك في المضيّ على الأيّام. أماكانت الدّهرُ أمس طرّياً ونزهةُ عرائس الأزهار بهيّاً، وكانت لابسةً لباسَ الفرح، طارحةً خرقة الشّرح، واليومَ تسيُّ الشّتاء عليها فلته والبردُ عظيم خطبه. فنشبت فيها أظفاره القوارضَ، وارتعد منه الجوارحُ والفرائصُ. قامت القيامةُ على الطيور والوحوش، وصارت الجبالُ كالعِهن المنقوش.

فالأراضي كأنّها سبخةٌ وعن جلدتها الغبراء منسلخةٌ، غلائل السُّحُب على الآفاق مرزورة الحبيب والأعضان، انحنىٰ قاماتُها لاشتعال المفارق بالشّيب.

فيا عجباً أصبحت الغنائمُ خسائر، فصار الماءُ مِلحاً أُجاجاً بعدَ ماكان عذباً فراتاً. صارت شدّةُ البرد صدفَ السّحاب، فتناثرت دُررٌ توارت منها الشّمسُ بالحجاب.

فأنتَ كالدّهر تعيشُ غافلاً مسروراً، وسيلحقُ مِسككَ كافوراً، ينزلُ عليك ثلجُ الشّيب، فيحملك كثيراً من النّقصان والعيب، ينحني من حمله قامتُك وسيقومُ قيامتُك. انحناءُ القامة يُبلّغكَ سَلامَ الحمام وقيام القيامة يُظهِرُ لك مابك من الملام، النّظرُ في سلبِ الشّيب سلبَ البصر، والعامل لشدّة البرد لايقدرُ على العمل. فاغتنم الفرصةَ، فإنّها علىٰ صدد الفوات، والعُمر سريعُ الخطوات.

أما تشعرُ في الشّفق بالهلال؛ فإنّه بغلٌ ألقي في النّار لمّا طال الشّهر الجديد أمدَ الأمطار فبيّن أثرُهُ في الحال لذوي الأبصار، بل هو بغلٌ من النّضار ويُطارحُ في فضاء الأفق حتىٰ كرّ أدهمُ اللّيل علىٰ أشهب النّهار. والزّمانُ، كما قيل: أصلحُ من خلف، ومواعيدُ الأمانى لاينحو [منها] إلّا واحدٌ من ألف. وإنّك مع ضعف قوّتك وقوّة ضعفك تضاعفَ عليك الظلام الظّلّامُ واستولىٰ عليك المنام، واشتغلتَ بأضغاث الأعلام. فانتبه يا نائم، واستقم يا هائم.

<١٨> تنبيهٌ

حُبُّ الدّنيا رأسُ كلّ خطيئة.فإنّه أشبهُ شيء بظلّ الغمام و حُلُم النّام . ليت شعري: لم تُحبُّ الدّنيا لسرور أدركتهُ أو لسرير ملكتهُ أو لوقتٍ صفا فما كدَر ، أو لدهر وفا فما غدر. هل أصبحتَ آمِراً إلّا أمسيتَ مأموراً . وهل بتَّ سَكراناً إلّا ظلتَ مخموراً.

<١٩> إشارةٌ وتنبيهٌ

لايغرنّك تغلّبُ الكبار والأمجاد في الأغوار والأنجاد ؛ واعبدُالله ولاتعبُد الدّراهم الأسجاد ؛ فإنّ الذّهبَ عِجلُ هذه الأُمّة . أتظنُّ أنّ قصّةَ السّامريّ سمرٌ .كلّا ، إنّها فاعمة لما تم، ليس السّامريُّ من استعار سواراً و حجلاً واتّخذ منه عجلاً، وإنّما السّامريُّ مَن سمر للجاه والقبول وجدع الأعمار بقبضة من أثر الرّسول ، فحمل من زينة القوم أوزاراً ، وحمل زبرجاً مُستعاراً . صم لبدا لمعور أضاغها و ثنا معبوداً لايُبصِرُ عوارهُ إلّا أنفسٌ عاليةٌ ، ولا يسمعُ خوارَهُ إلّا أُذُنٌ واعيةٌ .

فلاتنحرف عن السّرعة السّويّة كالفرقة الموسويّة . وإذا لقيتهم فعليك أن تقول : لا مِساسَ .

<٢٠> إشارةٌ وتكميلٌ

أكثر في الدّعاء وارضَ بالقضاء ، واصبِرو توكّل ،واشكروتفكّر ،واذكر ولاتجهَر في النّداء والذّكر والدّعاء ، وتنبّه بمقال البلغاء من الأدباء .

واعلم أنّه لايسمعُ بالصّماخ فاقصر من الصّراخ . أتنادي باعداً ، أو تُوقِظُ راقداً . تعالى اللهُ ، لاتأخذهُ السّنةُ ولاتُغلّطهُ ألألسنةُ ، يَعرِفُ رموزَ [البُكم] والخُرس ،كما يَعلمُ لغةَ التّرك والفُرس .

وما هذه الشّهقةُ والنّداءُ ؟ وماهذه الصّيحةُ الشّنعاء ؟ أمن الضّرب تتألّمُ ، أم من الرّبّ تتظلّمُ ، أم مع أكفائك تتكلّمُ ، أتحسبهُ قسّاماً نسي قسمك ، أم رزّاقاً جهل السمكك . فإن دعوتَ الله فقم ولاتجهر ، فإنّك لاتنادي الصّمّ ، إنّه لايسمعُ بالغضروف ولايحتاجُ إلىٰ الأصواتوالحروف، يعلمُ خطراتالأوهام كما يعصرُ قطرات الرّهام.

واعلم أنّ مسرّاتِ الأيّام مقرونةٌ بالغمّ ، وحلاوةَ الدّنيا معجونةٌ بالسّمّ . طالع الدّنيا ،

فإنّها صحيفةُ أبنائك ؛ وخالفها ، فإنّها حليلةُ آبائك .

واحمل من الصّبر تُرساً واتّخذ في كلّ ما تم عُرساً ، لاتنزل معرّسَ الفناء ، فإنّها لبئس المُعرّس ؛ واضمُم إليك جناحك ، فإنّك بالخافق المقوّس ؛ واخلع نعليك ، فإنّك بالواد المقدّس طُوىً .

اعبُد بالقلب النّشيط واعدل عن الإفراط والتّفريط إلى النّهج الوسيط . لاتعبد لأجل الجيران أو تقرّب السّلطان ،كما هو شأنُ أكثر أبناء الزّمان، ولا لخوف النّيران ولا للذّات الجِنان .

طوبىٰ للتقىّ الخامل الّذي سلم عن إشارة الأنامل ، وبُشرىٰ للسّالك الحافي في مجاهل هذه الفيافي .

لاتركن إلىٰ مَن قعد في الصّوامع ليُعرَف بالأصابع ؛ فإنّ أكثرهُم مخانيثُ من أرباب الحِجال ، تصدّوا مناصبَ الرّجال . خزائنُ الأُمناء مكتومةٌ وكنوزُ الأولياء مختومةٌ .

فاقنع قنوعَ الحيّات واكمن في الظّلمات كماء الحياة . تجرّع مرارة النّوائب في أيّام معدودة لحلاوة موعودة . لاتشربنّ ورداً يُعقّبك سقاماً ، ولاتشمُّن ورداً يورثك زُكاماً . لايُهمّك ضبطُ الدّينار والدّرهم وربطُ الأشهب والأدهم . فسيأتي بك كاتفٌ تقفُ مكتوفاً أو طائر تقعُ مستوفاً .

يارهينَ الذّمّة ، اشتغل بفكاكها وأدرِك نفسك قبلَ هلاكها ، واحفظ سرّك لقاع ، لاكنَّ فيه و لاظِلالَ ، واحذَر يوماً لافسوقَ فيه ولاجدالَ . لاوصولَ إلىٰ مقامات العُلىٰ إلّا بمُقاساة البلاء وتجرّع كأسات العناء .

مَن طلب الدّرّ شرب الأُجاجَ المُرّ . فمن لم يخرج من الظّلال والكنّ ولم يعرف غير إتعاب السّنّ لايقرع إلّا الجبالَ الرّواسخَ ولايذرعُ إلّا الأميالَ والفراسِخ ؛ فإنّ طعم لايعرفُ إلّا حشيشُ الفلاة و لايسمعُ كيشَ المقلاة ، وإن شرب لايشربُ إلّا التمد ، ولايعرفُ في الحرّ قعقعةَ الجسدَ، ألا إنّ الرّقعة في أطيط الرّجل دونَ... النّائم ، وصلاةُ القاعد على النّصف من صلاة القائم . لايسكنُ حرارة الطّلب بالسّكون تحت مَظلّة الظّلالة والتّبريد بزمهرير الغفلة والجهالة . لاتسكُن هذه القريةَ الحلحاء ، ولاتعمرُ هذه

المهلكة الفيجاء .

واعلم أنّ الدّنيا بَرُّ هاروت أو نهرُ طالوت ، ﴿وإنّ الله مُبتليكم بنهر﴾ . فمن تـعرّض و لم يُصب رأيا عبر حزماً ، و من ارتوىٰ أشرف على البلوىٰ . ولاتتّخذ الدّنيا الفـانية سُوقاً ، إنّ الباطل كان زهوقاً .

أيّها الطّالبُ ، ميّز بينَ النّور والظّلمات ، ولاتقنع بظواهـر الكـلمات . وإيّـاك أن تقنعَ من العلم بـالقشور ، ومـن الرّق المـنشور بـالدّواء والعشـور . أولئك قـومٌ نـزلوا هذه البيئة وغفلوا عن المرحلة الثّانية ، وشغلوا بـالدّنيا الدّنـيّة عـن القـطوف الدّانـية . فهم في منازل العيش رافلون و في مهابط الغيّ سافلون . ﴿يعلمون ظاهراً من الحيٰوة الدّنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ .

<٢١>تفريغ

فليس لك أن تقول : مالكَ لاترجح على التّلفّظ بـالشّعر جـانب السّكـوت . وأمّـا الخيالاتُ الشّعريّة في تجاويف الدّماغ كنسج العـنكبوت . وليس التّـحدّي بـالتّرسّل والشّعر والانصراف من لبّ العلوم إلى القشر إلّا لتارك الحقيقة إلى المجاز، والعدول من سيفه إلى عصاه يومَ البراز ، علىٰ أنّ لكلّ مقام مقال، والشّعر لجوهر الطّبع ثقال . وهو للضّمير سميرٌ ، وعلىٰ عدوّ الزّار سفيرٌ ، ولصاحبه موسىٰ و خضرٌ ، ولم يزل يطرى به الكريمُ ويلوى به اللّئيم. فليت شعري: أيقعُ موقعَ الامتداح ويروقُ البحثُ تلك الصّياح، أم قصاراى لعدم الالتفات إليها الافتضاح . لاسيّما و قد قرن به الالتماسُ والاقتراحُ .

ثمّ لايخفىٰ علىٰ من رزق ذوق الكلام من أرباب الأفهام أنّ الطّرقَ المسلوكة في نظم هذه المقالة ليست شديدةَ التّناسب ولاكثيرة التّقارب .

وفي ذلك اعتباراتٌ شتّىٰ ونكاتٌ لاتكادُ لاتحصىٰ . منها استمرارُ رغبة الطـالبين وتجدّد شوق الناظرين . ومنها أنّ هذا الكتاب وإن كان يهدي الكـاملين مـن أربـاب اللُّباب ، فإنّه يُضلّ النّاقصين مـن الطـلّاب ويُـعذّبُ الحـاسدين مـن مـراتب العـلوم والآداب . ﴿ فكلّما نضجت جلودُهم بدلّناهُم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾ .

<٢٢> خاتمةٌ

وردَ إليّ الإشراقاتُ والأنوارُ اللّامعة من سواد هذه السّطور والأسرار المحتجبة وراء أستار هذه الزّبور دفعةً في يوم عجيب خزالى من آخر ربيع الأوّل عند مُضيّ ثمان مائة وخمسة وتسعين سنة قمريّة هجريّة (٨٩٥).

واعلم أنّي شبّهتُ عالم الأنوار بالمشرق، لشروق نور الوجود منها. وعالم الظّلمات بالمغرب، لغروب الأنوار والأظلال فيها.

فعنونتُ في هذه الرّسالة ماتفرّدتُ باستنباطه وتوحّدتُ باستخراجه بالأنوار الشرقيّة. وما رأيتُه في الكتب بالأظلال الغربيّة، فإنّه أشرق أوّلاً علىٰ محلّ آخر وانعكس منه فهو ظِلٌّ؛ إذ قد يُطلقُ الظّلّ على الضّوء الثّانويّ.

وربّما عبرّتُ عن خواصّي بالإشراق الشّمسيّ، لحصوله أوّلاً من غير انعكاس، وعن مقابله بالنور القمريّ، لكونه ضوءاً ثانوياً.

وماجرّدتُه عن كلّ ذلك، مثل: الإشارات والتّبصرة والتلويحات والتّذكرة والتّنبيهات، فهي من المشتركات، أو ممّا لنا فيه تصرّفاتٌ.

وليُعلم: أنّ الاعتماد في مطالب الكتاب ليس إلّا علىٰ الكشف والعيان دونَ صريح البرهان، فلا ينفعُ المؤاخذاتُ في المقدّمات. علىٰ أنّه من دقّق النّظر ولاحظ المقصد المعتبر وجد كلّاً منها مُبتنياً علىٰ أصل متين أصيل. والله يُحِقّ الحقّ بكلماته، وهو يهدي السّبيل.

<٢٣> تكملةٌ وتبصرةٌ

انظر أيّها النّاظرُ بعين الإنصاف، المُجانبُ عن البغي و الاعتساف، إلىٰ «هذه المرآئي» كيف تُريك ملكوتَ السّماوات ويُعينك علىٰ إبادة نائرة الشّهوات وتطهير البيت العتيق عن أصنام الخيالات؛ خلّد اللهُ ذكرها بينَ العالِمين والعالَمين، وجعل لها لسانَ صدق في العالمين. وما ذاك إلّا أزاهيرُ هرضت من أغصان الغيب قسمهنّ وطيُورٌ قصاح تعرفت إجراؤها علىٰ جبال القدس، فضمّهنّ، ﴿وإذ ابتلىٰ إبراهيمَ بكلمات فأتمّهنّ﴾، تمّ.